هذه الرواية كُتبت ضمن حلم صغير راود الكاتب في أحد المخيمات على الحدود السوريّة التركية بعد نزوح طويل

(روايـة المُسن)

(1)

#البداية

إهداء إلى

الحب الاول الذي مرّ بي يوماً فأنار بقلبي أماكن لم أعلم بوجودها_خطيبتي فاطمة وليد زويغي

إلى أخوتي وأمي التي كانت أب وأم في نفس الوقت

حسين خالد كعيد
سوريا_حماه_قسطون

منذ ثلاثة أعوام وحتى هذه اللحظة يزورني في الحلم دوماً يُذكرني بما قال لي ثُمّ يرحلُ كما رحل للمجهول مرةً أخرى تغص ذاكرتي كلما تذكرت يوم الرحيل فالأوجاع كثيرة والقلب مُتعب أحاول النسيان والاندماج في هذه الحياة من دون أن أفكر في تلكَ الكلمات لكنني أفشل وكأنه كابوسٌ أنتظر أن أصحو منه قريباً.....

في يوم من الأيام بدأت رحلتي بعد أشهر من نزوح طويل وأيام هي الأقسى من نوعها لا أنسى في ذلك اليوم ملامح ذلك الرجل ذو اللحية البيضاء الطويلة صاحب الوجه الأبيض المدور عند لقائنا الأول دون أن يسأل حتى عن اسمي

بدأ يقص عليّ القصص وعن إسمي ومن أنا وكيف ستكون حياتي

ذكر إسمي الثلاثي مع اسم والداتي وكأنه أنا وربما حديث بين الروح والنفس في ذلك الجسد بل ربما في حلم ويقظة او غفلة منبه ....

بدأ القلق يعتلي وجهي وجهٌ متعب منهك من هموم الحياة حيث جلسنا سويتا كانت تلك الكلمات تُخيفني كلما حاولت أن أنسى ما قاله لي في تلك الليلة المخيفة تعود ذاكرتي إليه لأنه حقيقة أعيشها يوميا

حدثني عن أمر مهم في حياتي لم أفهم منه كثيراً

لكن قال لي يا فتى إنَّ نجمك محبوب ولكن لا تستطيع أن تقود نفسك إلى النجاح بل ترتكب حماقة تلوى الاخرى وانت تنظر إلى تلك الحماقة بأنها امر غير مهم

حدثني عن حياتي وكأني أنا وبدأ يقص علي ما حدث معي طيلة تلك السنوات المريرة

وقال كلمات ما زالت تؤثر في حياتي دائماً وكأنها خنجر غرس في قلبي وربما شخصية تجسدت في روحي للابد

قال مردداً أنك عندما تجد نصفك الأخر ستواجه المتاعب الكثيرة هُنا اعتلى على وجهي الحزن وبدأت تلك الغصة تمزق الروح رويداً رويدا

ربما ذلك المُسن يقصد الفتاة في أيام مضت بسرعة كبيرة في الثانوية في قريتي

أخبرني عنها وكانه أنا وهو يسرد علي القصص غلبني النعاس في تلك الليلة المخيفة

واستيقظت على سماع صوت أذان الفجر فلم أرى وجهه وكأنه كان حلم طويل لكن هو بالحقيقة يقظة

الأمر الذي يحزنني أن كلماته مازالت تزورني يومياً وأرها حقيقة

فهل يعود يوم ما وأراه مجدداً وجه لوجه كي يخبرني عن حل لهذه المشكلة

أيقنت جيداً بعد عدّة سنوات أنه لن يعود

وما زالت تلك الأخطاء تلاحقني كشبح كل يوم

وأنا أتذكر هذه الكلمات بعد عدة سنوات زارني طيفه بالحلم يوماً في ذلك المخيم الصغير في تلك القمة الجبلية التي لا يقطنها إلا الأفاعي والعقارب لشدّة توعرها

(2)

#الليل_مع_المُسن_مجدداً

بدأت تلك الليلة المخيفة في زاوية الخيمة كنت جالس لوحدي أعيد الذكريات الى تلك القرية الى بيتي الذي لم أجلس فيه منذ عدة سنوات إلى مدرستي واهلي الى الماضي الذي أضاعته الحرب إلى حالنا الان في المخيم والوضع الذي يعيشه معظم الناس مجبرين على العيش في مخيم

لشدّة الحرب التي دمرت كل شيء قصف هنا وهناك رائحة الموت التي تملئ كل شبرٍ في بلادي

وأنا أحدث نفسي في قوقعة الألم طيلة السنوات

جائني المُسن لكن لم يأتي وحده الامر الذي اخافني كثيراً

ألقى علي تحية السلام بينما ذهبت روحي إلى عالم اخر

إلى عالم لا يشبه هذا العالم أبدا ظننت أنني أحتضر وأن الروح قد خرجت من هذا الجسد إلى عالمها الحقيقي

إلى العالم الأزلي حيث منه أتت

جلب معه عدة أصدقاء

الحزن والألم والحسرة والندم وأنا في عزلة عن البشر في تلك الخيمة التي مضى عليها زمن طويل صامدة في قمة جبلية كأنها شعلة نار تحترق في الصيف تحرق أرواحنا قبل أجسادنا وقطعة ثلج تجمد الدم في عروقنا عند هبوب رياح الشتاء

يا بني استيقظ ماذا بك ماذا تقول من هذا المسن الذي تتحدث عنه في نومك هيا أحضرت لك ولأخوتك الإفطار

نظرت إليها انها نبع الحنان أمي صباح الخير يا أمي

إنه الصباح ما هذا المسن كان مجرد أضغاث أحلام أم أنه كابوس أم كنت في حالة هلوسة لا إرادية .....

إنني أشعر بالتعب من هذا المخيم من سكانه الذي لا يساوي وجودهم شيء من هذه الخيمة الخضراء من هذا المُسن الذي عاد اليوم

أشعر بالتعب من كل شيء.....

مرّ اليوم ولم أشعر بشي لم أعلم بأن هذا المُسن جلب معه الأصدقاء.....

الأصدقاء ما هذا وهل يوجد أصدقاء غير الذي نتعايش معهم في حياتنا .....

نعم هناك أصدقاء وربما يأتون كأصدقاء لكنهم مرض يستقر في الروح والجسد

أيها المعتوه المُسن أخبرني من هم .....

إنهم الأصدقاء الندم والحسرة والسهر والارق والحزن

ماذا تقول لما يتصدر على قائمة الأصدقاء الندم ...

الندم على ماذا أيها المُسن ....

الندم على تلك الليلة حيثُ رأيتك في تلك المحطة قبل أذان الفجر بدقائق لم تذكرها ....

ماذا ماذا تقول لقد عُدت مجدداً الألم في الروح والضعف في الجسد لماذا أيها المسن إنني طيلة تلك السنوات أبحث عنك

كيف عدت الأن ولماذا قررت المكوث في عقلي في قلبي في جسدي

إنك تعرف جيداً أنَّ هذه الحياة ليست الحياة التي خططت لأجلها في خيالي منذ الصغر مازال ذلك الطفل وتلك الحياة تستضيف مخيلتي كل يوم

الطفل الصغير نعم أنه طفل لا أعتقد أنه أصبح مسن بهذه السرعة ....

#الروتين_القاتل_المخيم_وصارع_المُسن

أستيقظ بطريقة مملة بعد ضيافة المسن وأشعر بالحسرة على تلك الليلة ويعتصر قلبي الندم لأنني لم أصغي جيداً لذلك المُسن عندما سردَ علي جزء من حياتي ورحل للمجهول خرجت من خيمتي التقطت سيجارة الماستر الازرق أشاهد المارّة المكان نفسه الوجوه نفسها بل المسنين نفسهم كم يُخيفني المسنين ثم أعود في نهاية الأمر وأقول كذبتي لأُشعرَ روحي بأنها خالية من طيف المُسن

لأنني أعيش في مخيم نصفه يعتقد أن الماضي كان رائع ولا يخجل من تزوير الحقيقة .

والنصف الأخر يتوهم بأن المستقبل أحلا وأجمل ويبرر لواقع

مأساوي نعيشه يومياً في هذا المخيم والأمر الأشد حزن بأن كل نصف يُريد إقناع الأخر بأوهامه التي يعيشها ....

كان صباحاً بعد ليلة مخيفة جدا فأن المسن عاد مجدداً

يحمل معه كثيراً من الحقد بل يريد الانتقام

من ماذا يا ترى ممن سوف ينتقم

في عزلة مع السهر الذي استوطن جسدي فلا أستطيع النعاس أن يحاربه أبدا بل لا يمكنه إخضاعه للسيطرة أبداً

في قوقعة هذا المخيم وضجيج الحياة وقرف الحياة والأحلام المزيفة والفشل المحيط بالمكان وروتين يومي وبؤس لا ينقطع وأمل لم أرى له أي أثر أصبحت في مرحلة اللامبالاة وعدم الشعور وربما كل من حولي يعيشون نفس الامر

جلسنا نتحادث عما يجري حولنا في جغرافيا صغيرة ضمن حدود رسمت خلال تلك السنوات التي فقدنا بها كل شيء

قال لي لو أنك أتبعت كلامي لتغيرت حياتك فضحكت متبسماً إنني توهمت بأنك مجرد حلم صغير في تلك المحطة وأيقنت روحي بأنك طيف في لحظة شرود الذهن

هل انت حقيقة أيها المسن...

انقضت عدة أيام وما زال الأصدقاء في كل يوم في ضيافة الروح في تلك العزلة

قررت الخروج من وهم هذا المسن بل الخروج من هذا المخيم إلى تلك البلاد البعيدة

فلم يعد للموت أهمية بالنسبة له فطبول الحرب تقرع في كل بلاده قذائف الموت تتساقط على كل المدن والقرى في سوريا

بعد مرور ليلة اخرى أصبحت الظهيرة وهو خالدٌ في نوم عميق مع احلام مخيفة

الحزن الندم الألم الفراق تنعكس على عيناه بلامبالاة

بدأ الندم يزحف بشهية على رأسي ليبدأ معركته الاقوى منذ أخر لقاء جمعني بالمسن

عدت في تفاصيله الى تلك الليلة التي كانت أول لقاء مع ذلك المسن

كل ذكرياتي ارتسمت أمامي ورحت أتهاوى على الطرقات

كنت في حاجة شديدة للهروب من هذا المكان والانفراد في نفسي

وتجمدت صورة المسن على غشاء عيوني الخضراوتين

وأخذت روحي تضربني بشدّة على كافة جسدي تريد الخروج

من هذا المخيم إلى مكان أخر بعيداً عن وهم المسن والكوابيس التي تأتي مع أصدقائه ...

وأنني اعلم بأن المسن ينظر إلي ساخراً منتقماً عالماً بأن هذا الثوب هو لباسي الدائم يوم ما.

هذا لا يهم فليذهب العالم إلى الجحيم لكن علي أن أشرب كأس من المته مع سجائري المفضلة

(3)

#المنزل_المهجور

ما أصعب أن تكون تائه بين حلم لا يكتمل وواقع لا يحتمل

قررت الرحيل إلى منزلي الذي لم أزره منذ عدة أعوام

المنزل الذي لم يسكنه إلا الفئران بل لم يسكنه حتى الأشباح من شدّة القصف الذي تتعرض له القرية

كانت السماء ملية بالغيوم تبشر بقدوم امطار بعد عدة دقائق بدأت حبات المطر تتساقط وكأنها تعيد الروح الميتة إلى جسده

السلام عليكم كيف حالك يا عمي

اهلا وسهلا بك

ما الذي جاء بك في مثل هذا الجو الممطر

قررت الانتقال الى منزلنا

ماذا تقول يا بني لم يسكن أحد تلك الحارة هي مهجورة تماما

لا بأس يا عمي ربما بعودتي تعود الحياة مجدداً

مكث ليلته عند عمه مقررا في الصباح الانتقال الى منزله

لكن لم يأتي ذلك المسن في تلك الليلة لقد فقد طيفه وشعر بانه قد تخلص من تلك الاوهام

في صباح باكر زقزقة العصافير رائحة التراب المبللة تعيد الروح للأجساد الميتة قائلا..:

صباح الخراب والدمار في الاوطان

صباح الموت الذي في كل مكان

صباح الأمل بالله هو العنوان

صباح يتعطر بسورة من القرأن صباح الخير من شاب صارع المسن كثيراً حتى وصل لهذا المكان

صباح الخير يا منزلي لقد اشتقت لك كثيراً....

عندما وصلت الى باب المنزل الخارجي شعرت بان الجدران وشجرة الرمان وكل شيء في المنزل يردد قائلا اهلا وسهلا بك

لقد اشتقنا لكم كثيراً أين انتم ...

(4)

#شجرة_الرمان

لم أشعر يوما بأن شجرة الرمان تحدثني وكأنها تقول لقد طال الغياب لقد اشتقت لكم كثيراً

نظرت حولي إلى المكان لا يمكن المكوث هنا ولو ليلة واحد

فالأشواك تصل طول الواحدة منها للمتر المنزل مغطى بأكمله

بصعوبة شققت طريقا لأصل الى باب المنزل متخطيا الشوك الكثير حتى فتحت باب المنزل

لأخرج منه عدة التنظيف

قررت تنظيف المنزل حتى استطيع الدخول والخروج بسهولة دون أن يعترض طريقي أي شيء

لم يكن منزلي بهذ الخراب يا للهول وكأنها القيامة هنا

مضت عدة ساعات وانا منهك في التنظيف

احدهم يلقي علي السلام ٥

كيف حالك يا...

الحمد لله بخير كيف حالك انت

الحمد لله ماذا تفعل هنا

متى أتيت للقرية هل قررتم العودة

لا لا أنني اريد قضاء اسبوع هنا في هذا المنزل بعيدا عن ضجيج المخيم

وقررت أن اغير شيء ما في حياتي

ماذا تقول يا رجل عن اي حياة تتحدث في قرية مهجورة

انا مررت من هنا بالصدفة

لا يوجد احد كيف يمكن البقاء لوحدك

أنك تحتاج لقطع مسافة طويلة جدا لتأتي بالخبز

ماذا تقول وكيف سوف تأمن لنفسك الكهرباء والماء.....

هذا لا يهم يا صديقي قررت البقاء رغم هذه الظروف

حماك الله وكان بعونك

وإياكم يا صديقي شكرا لك ...

بعد ان غادر قررت الدخول الى مطبخ المنزل لأرى ما حدث داخله لم يتغير أي شيء منذ اخر مرة خرجنا من هنا منذ سنوات كثيرة

حتى المعالق والصحون والطناجر على حالها كما وضعتها امي في تلك الاناقة في ترتيب المطبخ

كل شيء يعيدني الى ما قبل الحرب وكأنني ولدت من جديد

والامر الذي شدني اصوات خفيفة وكأن الأثاث يقوم حفلة لعودتي لم يتحرك من مكان كانت المعالق ترقص فرحا

أما أنا فقط اكتفيت بإلقاء نظرات الحزن على ما حدث هنا فجأة بعد ان دخلت الحرب سوريا خلسة دمرت كل شيء يقف في طريقها

إننا نعيش حقا في غابة

وأنا أنظر إلى تلك الرفوف القيت نظرة على زاوية حيث ثلاث شمعات هناك

خرجت واكملت عملي حتى غربت الشمس

يا إلهي لا يوجد كهرباء ماذا سأفعل

حسنا الشمعات هيا سوف أحضر إحداهن لأشعلها حتى تنير لي شيء بسيط في هذه الغرفة

دخلت الى المطبخ وانرت شيء بسيط من جوالي اخدت الشمعات الثلاثة

وقلت بسم الله

التقطت اكبر شمعة لكي تنير لي قليلا من الضوء في زاوية الغرفة

وخلدت الى فراشي أتأمل سقف الغرفة المطلي بالأبيض

واذرع المروحة التي يلاحق أحدها الاخر في سباق لا يستطيع أحدهم التغلب على الأخر

جاءت نسمات هواء باردة من نافذة الغرفة

منتصف الليل أحدق بتلك الشمعة التي لم تضيء شيء بسيط في داخل الغرفة

مستلقيا على ظهري أنظر حولي في هذه العزلة بدأت المعركة بين ملاكي وشيطاني وكان كل واحد منهم يريد أن يثبت في روحي بل بدأت التفكير بالأشباح وتقودني مخيلتي لأشياء كثيرة

فلا يوجد احد إلا انا وتلك الشمعة التي بدأت تتآكلُ رويدا رويدا

بدأت حبات العرق تنزل على وجهي أنظر الى تلك الشمعة من شدة الخوف لا أستطيع التحديق بشيء اخر بل لا أستطيع غض طرفي عنها أبدا

شيء ما يقترب بدأت مخيلتي تذهب بعيداً

صوت يخرج من لهب الشمعة التي تذوب

لكنها تبكي على فرقنا

بدأت تلك الشمعة تسرد لي قصتها مع أخوتها الشمعات منذ عدة سنوات على رفوف ذلك المطبخ قاومت الخوف ونظرت الى تلك النافذة المكسورة

أنه المسن ما هذا بدى لي طيفه مجددا

بدأ القلق يعتلي وجهي وتزايدت حبات العرق على وجهي

ما الذي جاء بك مجددا صرخت بصوت عالي

قال بصوت هادئ لقد عدت لأذكرك بتلك الليلة عندما رأيتني

أظننت بخروجك لن تراني مجددا

وبدأ الحوار بيني وبينه

حدق بي في نظرات مخيفة جدا وجاءت نسمة هواء عصفت تلك الشمعة فأختفى نورها الذي كان ينير لنا المكان

قاومت تلك اللحظات كان العرق قد بلل جسدي من شدة الخوف ماذا سأفعل الان

حتى وان صرخت بأعلى صوتي لن يسمعني احد فالقرية لا يسكنها إلا الأشباح

خرجت مسرعا ابحث عن المفتاح لأخرج من هذه الغرفة

المظلمة وان كان الموت فأهلا وسهلا

الموت هو حق من حقوقنا وقد خلق الله هذه الدنيا ليبتلينا أينا احسن عملاً

كل نفس ذائقة الموت

لم أستطيع الدخول مرة أخرى إلى داخل الغرفة

قررت الصعود على سطح المنزل استلقيت على ظهري ناظر للسماء قائلا هيا يا سماء هاتي ما عندك

أنا ها هنا أنتظر قدوم المسن مجددا

(5)

#الندم_مجدداً

قدم من بعيد شعرت روحي بأن الندم قد أتى لكن لم يأتي ذلك المسن لقد كلفه بالمهمة هكذا قالت روحي بينما بدأ الندم يأكل بهشاشة من روحي

الندم على ماذا

كان يجب علي البقاء في ذلك المخيم الندم على قرار اتخذته

يجب علينا التحكم في أنفسنا وعدم اتخاذ أي قرار يوصلنا إلى الندم .....

كان الندم قاسياً في هذه الزيارة أنظر إلى السماء وأتحادث مع نفسي وأتذكر كلمات المسن في تلك الليلة تلك الكلمات التي اوصاني بها يوم ما. وربما عند زيارته الأولى لي

ألم نتعاهد على السير معاً ما الذي حصل. لك أيها المسن وأين رحلت تلك السنوات

إن لكل إنسان خلق على هذا الكوكب له تفكير خاص به وإن لكل شخص له رؤيا معينة من زاوية هو يراها

فقد ما تراه أنت جميلاً قد يراه غيرك قبيحاً وربما المظاهر تخفي خلفها أرواح هشة جدا يسهل كسرها أيها المسن

أتعلم بأن طيفك لم يذهب من مخيلتي أبدا طيلة فترة غيابك

الندم يترأس الأصدقاء

إياك واتخاذ قرارت في حياتك توصلك إلى الندم يجب عليك الوقوف لأيام ولنقل أسابيع وبالأحرى لأشهر حتى لا نصل إلى عتبة الندم

وبينما نتحادث وانا أصغي جيداً لكلماته

بدأ النعاس يهجم على جسدي المنهك الخائف من تلك الليلة في غرفة المنزل.

غلبني النعاس عند أذان الفجر الذي أسمعه من بعيد جداً وربما كانت أضغاث أحلام مرّت بي ....

(6)

#شجرة_الرمان

بعد ليلة كانت مصحوبة بالندم لساعات طويلة بينما غلبني النعاس

استيقظت في ساعات الصباح الأولى زقزقة العصافير في حارتنا وكأنني أسمعها للمرة الاولى لكن الأمر الذي شدّ سمعي هُناك صوت قريب جداً يخرج من جذور شجرة الرمان

أيعقل هذا هل تتحدث معي أم ماذا

همست في أذني قائلة اهلاً وسهلاً بك إنني البارحة شعرت بوجود أحدهم داخل الغرفة لكنني ظننت بأنها الفئران تقيم حفلاً كل ليلة في داخل منزلكم تتغذى على بقايا أثاث البيت الذي تركته أنت واهلك خلفك حينما قرعت طبول الحرب في بلادك

اهلا بك أظن أنّ ملامح وجهك قد تبدلت كثيراً طيلة السنوات الماضية

أخبرني يا .... ما الذي عاد بك مجدداً إلى المنزل ....

تغير لونه وجهي إلى الأصفر الشاحب أنظر بطريقة مرعبة حولي أحقاً شجرة الرمان تحدثني أم أنني أهذي منذ الصباح الباكر

يا إلهي مالذي حدث هنا

عاد الصوت مجدداً

إنني أتذكرك جيداً يا...ح...

لكنك تغيرت كثيراً لم يعد ذلك الطفل الصغير الذي كان يلعب تحت أغصاني ممزقا أوراقي لكن أين تلك اليد الحنونة التي كانت تسقيني لقد اشتقت لحنانها أتعلم أن العطش قد أوقف أغصاني عن الإنتاج أهً كم أشتاق لكم يا ...ح

ما هذا أتقصد والدتي ام ماذا

نعم ابلغها مني السلام وقل لها إنّ شجرة الرمان لم تُروى من العطش منذ ثمانية أعوام هل هي بصحة جيدة وأخواتك أين هم .

أين تلك الفتاة الصغيرة

ما هذا يا ..ح.. لقد كبرت كثيراً خلال هذه السنوات لكنني ما زلت أتذكر ملامح وجهك جيداً ذلك الوجه المُدور الحنطي ذو العينين الخضراوتين الساحرتين يبدو عليك الكبر يا ...ح...

هكذا قالت شجرة الرمان بل شعرت بأن الأوراق تتساقط حزناً وكأنها تذرف دموع الفراق الطويل .....

(7)

أه يا شجرة الرمان لو تعلمين ماذا حصل لنا.... وأين اصبحنا بعد الخروج من هنا لقد ساء بنا الحال فرمانا في مخيمات عند حدود لم نكن نعرفها ابدا ولم نكن نتوقع الوصول إليها

لكن قدر الله ما شاء فعل

أخبرني أتيت لوحدك الى هُنا إنني البارحة سمعت صوت اخر داخل هذه الغرفة ورأيت طيفه حين دخل الى الغرفة يرتدي البياض لحيته بيضاء يبدو عليه بأنه مُسن لكن كأنه كان يخوض صراع داخل الغرفة

ما الذي حدث. معكم البارحة ومن هذا المُسن أخبرني

بدأ الخوف يعتلي وجهي ما الذي أخبرها عن المسن

خرجت من فمي عدّة أحرف يركد الحرف خلف الحرف ليلتصق به حتى تكتمل جملة واحدة ظننت بأنني قد عجزت عن الكلام

قلت لها أتعرفين من هو المُسن يا شجرة الرمان أم ماذا .....

نطقت شجرة الرمان قائلة لا لا إنني لا اعرفه دعك من هذا الهراء وصمت دون أن تحدث من أغصانها صوت واحد ...

(8)

لا أعلم لقد اختلط الامر علي كثيراً لكن الشيء الذي يشعرني بالسعادة أنها لم تنسى أي لحظة من تلك اللحظات التي عشنا بها في هذا المنزل قبل أن تقرع الحرب طبولها لتدمرت كل شيء

ربما في حقيقة الأمر أن البشر تقتل بعضها البعض لأجل اشياء سخيفة عندما ينعدم الضمير منها لكن تبقى الطبيعة هي صاحبة الارواح الحيّة التي بنسمات منها تُعيد لنا ولأجسادنا الارواح الحية التي قد ماتت منذ زمن في أجسادنا جميعاً ...

(9)

لم يكن هذا المسن الذي يتحدث معي بل صوت يخرج من جذور شجرة الرمان الحزينة الوحيدة طيلة فترة هجرنا لها

قالت لي انتبه لنفسك جيداً فهناك صراع لا يشبه ذلك الصراع الذي هجركم من بيوتكم إلى المجهول حيث لا مكان للعيش

صراع القتل والتدمير كل أنحاء البلاد سوريا

لكنني أحذرك من صراع أخر يا ...ح..

ما هو أخبريني بربك يا شجرة الرمان ماهوا أتوسل إليك قلت مرددا هكذا كلمات. ...

قالت شجرة الرمان إن هناك صراع بين القلب والعقل تارةً يؤدي بصاحبه إلى الجنون وصراع بين الروح والجسد تارةً أخرى يؤدي إلى الهلاك فحذاري أن تسقط في بركان أحد الصرعات فلن تخرج منها أبداً وذهب صوتها للمجهول كما ذهب ذلك المسن يوم ما ....

في داخلي صراخ كبير جدا اصرخ بصوت عالي لا تذهبي يا شجرة الرمان ارجوكي عودي وكأن قريني يضغط على عنقي أشعر بالاختناق

لقد رحلت شجرة الرمان كما رحل صوتها إلى المجهول كما رحل ذلك المسن يوم. ما بدأت حبات العرق تملئ وجهي مجدداً وجهٌ متعب هارب من طيف المُسن إلى شجرة الرمان التي كادت أن تجعلني مجنونا أحدث نفسي

هبطت الأفكار على عقلي مجدداً كأنها طائرة هبط قائدها بشكل إطراري فقتل كل من على متنها

تشتت أفكاري من كثرة الحديث مع نفسي حتى شعرت بدفء يسطع على وجهي أنها الشمس قد بزغت من فوق ذلك الجبل استيقظ ويبدو على وجهي الخوف وكأنه حلم مرّ في دقائق قليلة....

محاولاً استرجاع ما حدث معي في داخل الغرفة قررت النزول من على سطح منزلنا والدخول مجددا لداخل الغرفة لأرى هل حق كنت في بحور الاحلام أم انني اتعايش معها في الواقع

كان الصباح قد هجم كأسد ينقض على فريسته

أنه الصباح إذن فلاخوف من الظلام او الوحدة

دخلت الى غرفتي انظر الى بقايا شمعة يبدو ان شخص ما اشعلها البارحة وبجانبها شمعتين

استلقيت على ظهري متأملاً المكان وكان نسمات الصباح باردة فغلبني النعاس وخلدت في نوم عميق وكأنني لم أنام منذ عدة أسابيع .....

(10)

أنها الساعات الأولى نسمات هواء باردة أصوات زقزقة العصافير التي تغرد ألحان الحزن على بلدي سوريا وعلى قريتي تحديدا

كان زقزقة العصافير تبكي حزنا على وطن دمرته الحرب تبكي حزنا على شعب مقهور مظلوم ضاقت به سبل الأرض

كانت زقزقة العصافير ترثي وطناً بأكمله من الجنوب الى الشمال ومن الشرق الى الغرب وطن تدمر ولم يعد وطن

صعدت الى سطح منزلي متأملاً قريتي كانت الشمس قد تعالت قليلاً فوق الجبل جلست القي نظرات لم ألقيها منذ عدة سنوات على قريتي ووضعت كأس من المته وقليل من سجائر الماستر الأزرق التي اعتدت أن أشربها

نعم إنني لا أشرب السجائر حتى يقولون بأنني أدمنها فلا طاقة لي بالإدمان بل إنني أشرب السجائر حتى أتناسى أوجاعي التي أخبرني بها المسن

أنه الصباح ما أجمله من صباح على سطح منزلي المهجور لا أحد فقط أنا وكأس المته وقليل من السجائر المحببة لقلبي اختلط التبغ والنيكوتين مع دمي سارياً نحو قلبي الذي استوطنه أصدقاء المسن

مع الندم والحسرة والألم .....

(١١)

#_بين_الروح_والجسد

ربما بعض الذكريات تأتي قاسية جداً وربما الكلمات أو تلك الذاكرة اللعينة التي تختزن في مخيلتي هي من قادتني لصراع كبير بين روحي التي باتت لا تطيق شيء وبين جسدي المُنهك من هذه الحياة

جلست على سطح منزلنا متأملاً أغصان شجرة الرمان واتذكر حديثها عنا وعن أهلي بل أتذكر جيداً تلك اليد التي كانت تسقيها يوم ما قبل اندلاع الحرب في بلدي

بدأ الحديث هل حق حدثتني شجرة الرمان البارحة أم ماذا

كُنت أنظر لها بطرف عيني وأغض الطرف الأخر خوفاً من أن تشاهدني

لكن نطق عقلي قائلاً ما هذه الخرافات من المستحيل أن تحدثني شجرة الرمان وكيف لها الحديث مع بني البشر

أهً لو كانت الطبيعة تتحدث لقامت بعلن البشرية كلها لما يفعلونه معها

كُنت أشعر بالخوف رغم أن الليل قد رحل والشمس قد سطعت على مشارف قريتنا

تذكرت تلك الكلمات القاسية جداً وربما التي لم أفهم لماذا وجهتها لي شجرة الرمان وربما الصراع بين جسدي وشبح ذلك المسن التي أتاني وكأنه شجرة رمان .....

بدأ اليوم يمضي رويداً رويداً وعقارب الساعة تلاحق بعضها البعض بسرعة كبيرة وكأنها تقول استعد لليلة الثانية في منزلك المهجور فقد حان موعد اللقاء مجدداً من المُسن

مضى ساعات الصباح الاولى وانا على سطح المنزل أتأمل الخراب والدمار الذي حلَّ على منازل جيراني وقررت بعدها أن أتجول قليلاً في القرية

وانا في طريقي رأيت أحد الأصدقاء جلسنا سويتاً نتحدث عما جرى ويجري لنا نسترجع ايامنا القديمة التي كنا نعيش فيها في رغدٍ وأمان

الأمان ما أجملها من كلمة وما أحلاها من شعور كان يتحدث معي وأنا غارق في تلك الأفكار خائف من قدوم الليل مجدداً والعودة إلى منزلي بل إلى تلك الغرفة المظلمة الموحشة

أجلس معه جسد بلا روح وكأنني جثة هامدة فالأفكار كلها تقودني نحو ذلك المسن وخوفاً من التقائه مجددا في هذا اليوم

بدأ الشمس تزول مُعلنةً غروبها مع الشفق الاحمر الذي يعتلي الجبل الغربي من سهل الغاب وبدأ الليل يهبط على منازل القرية .....

(١٢)

#الليلة_الثانية

حلّ الظلام على القرية اتجهت إلى منزلي مجدداً أقف على عتبة الباب أنظر بخوف إلى شجرة الرمان ينتابني شعور الخوف منها وأحدق بنظرات تملكها الرعب بتجاه باب الغرفة

أحقاً سأدخل مجدداً لوحدي إلى تلك الغرفة أما أنني سأعود إلى صديقي وأقضي الليلة عندهم

كانت قدمي ترتجف خوفاً تباً لها هل بدأت تخونني قدميا هل سأعود ام سأدخل تلك الغرفة لمصارعة المسن وأصدقائه

تذكرت تلك الشمعة في الليلة الماضية لقد كانت تريد إخباري بشيء ما وربما سوف تحدثني عن الوحدة التي عاشتها هي واخوتها على رف المطبخ منذ رحيلنا عن المنزل

تماسكت قليلا وبدأت أخد نفسا تلوى الاخر للدخول إلى الغرفة

مررت بجانب شجرة الرمان انظر إلى أغصانها إلى اوراقها لم اسمع حديثاً كما سمعته البارحة

بدأ قلبي يخفق كثيراً وازدادت ضرباته وأشعر باضطراب في معدتي

لكن لما كل هذا الخوف هل حقاً أنا خائف من المُسن أم من شجرة الرمان أم أخشى أن أشعل شمعة أخرى في تلك الغرفة المظلمة

لا لا يجب علي العودة إلى صديقي ولا أقحم نفسي في خطورة كبيرة

هكذا قالت نفسي بخوف شديد

صوت من داخلي يقول لا تعد لا تعود ادخل إلى الغرفة ولن يحصل لك شيء

يجب علي الاستعداد لمعركة تبدو هي الاقوى اقوى من كافة المعارك التي يخوضها الاطراف المتنازعة في بلدي رغم كل القذائف الحارقة والصواريخ إلا انا هذه المعركة بالنسبة لي هي الاقوى فأنني ألان أستعد لمعركة بيني وبين ذلك المسن

قلت مردداً كلمات أنني لم أخن نفسي في أي لحظة ضعف لأُبعد عني شعور الخوف بل لأخرج من قوقعة كبيرة جداً أنا ذلك الشاب الذي ينتصر دائماً .....

(١٣)

#رائحة_الموت

من يسكن في هذه القرية لا أحد جميعهم ضاقت بهم السبل بل فرقتهم الحرب فبعض سكان القرية رحل مع عائلته إلى لبنان ولم يعد وبعضهم رحل إلى تركيا ولم يعد وبعضهم وصلت به السبل إلى أوروبا وبعضهم الاخر يسكن على الحدود في مخيمات الموت وبعضهم عاد أدراجه بتجاه المناطق الاقل سخونة ولنقل الهادئة نوع ما من الحرب الجارية

لا يوجد أحد فقط الموت لا يسكن هذه القرية حتى الفئران والقطط قد رحلت لا يوجد سوى رائحة الموت التي هي في كل مكان بين الحارات في الشوارع وعلى جدران المنازل حتى استقرت في كل بلدي سوريا نعم أنه الموت حقاً

كل نفس ذائقة الموت وكلنا سوف نغادر هذه الحياة إلى عالم أخر حيث لا موت مرة أخرى .....

(١٤)

#الغرفة_مجدداً

صعدت الدرجة الأولى من درج منزلنا وأنا أنظر إلى الباب الذي لم يعد باب اصلا فكل طرف يتهاوى مع نسمات الريح كان يصدر صوت كالصرير وأحدث نفسي هل حقاً سوف أدخل ام أعود أدراجي نحو منزل صديقي لا لا لن اعود تقدمت قليلا الى الباب قائلاً بسم الله توكل على الله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء لافي الارض ولا في السماء وهو السميع العليم

وفتحت باب الغرفة اشغلت الإنارة من جوالي أتفحص حال الغرفة ونظرت الى وسادتي هي على حالها لم تتغير

أنظر إلى النافذة المطلة على طريق خلف منزلي الذي جاء منها طيف المُسن البارحة كانت مظلمة جداً نظرت حولي إلى أثاث المنزل لفت انتباهي تلك المكتبة الفاقعة لونها باللون الازرق نعم انها المكتبة التي صنعها لنا والدي رحمه الله لوضع كتبنا المدرسية

تقدمت قليلاً إلى زاوية غرفتي واستلقيت على وسادتي أتقلب نحو اليمن واليسار محاولاً النوم لكنني لم أستطيع لقد بدأ السهر يغزو جسدي ورحل النعاس بسرعة كبيرة

دقات قلبي هي الأسرع بدأ قلبي يخفق بسرعة كبيرة جداً

وبدأ جوالي ينفذ شحنه قليلاً

نعم لقد تذكرت الشمعات لقد اشعلت شمعة واحدة قررت الذهاب الى المطبخ وجلب اخر شمعتين لإشعال أحداهن آملاً أن تنير لي شيء بسيط في هذه الغرفة المظلمة

جلبت الشمعات وأشعلت إحداهن في نفس المكان البارحة

وبدأت النظر إليها هل سوف تحادثني كأختها التي سبقتها ام ماذا

هل هي الاخرى تحمل عليّ حقداً منذ ثمانية أعوام عندما تركتها هي وأخوتها على رف من رفوف. مطبخنا الصغير .....

وأنا انظر إليها سمعت صوت يقول أهلا بك يا ...ح..

مرحبا بك مجددا كيف امضيت ليلة البارحة مع أختي السابقة

ألم تأخذ منها درسا

لا تخف أنا لا استطيع أنا أتحدث كثيرا فقد طوى الدهر علي كثير ولن استطيع الأنارة لك كثيراً وأنني لن اقسى عليك بكلماتي كأختي التي سبقتني لقد عانيت كثيراً مع اخواتي على رفوف المطبخ الصغير ولقد اشتاقت كل المعدات في المطبخ

كنا نقيم يوما حفلا المعالق والصحون والطناجر حتى الشوكات والسكاكين كنا نقيم حفلاً بعودتك الى المنزل لقد انتظرتك منذ زمن ولم افقد الامل يوما ما بانك سوف تعود لتشعلنا ولقد اتيت

سأحرق نفسي لأجلك يا ح... لتخرج من هذا الفكر المظلم بل من هذه القوقعة التي حاصرك بها طيف المسن ..

قلت لها وماذا عن اختك الاخيرة ..

قالت ومن تقصد الشمعة البيضاء إنها ستجمعك مع المسن في ليلة اخرى ولكن سوف يكون لها دور كبير في هذه المرة

بينما أسمع حديث الشمعة غلبني النعاس في ليلة كانت هي أجمل الليالي التي سبقتها ليلة خالية من طيف المسن ومن شجرة الرمان ليلة لا يزورني بها الندم والحسرة والالم والقلق والحزن ليلة هي الاجمل

لكن إلى أين رحلوا ...

لأيهم إلى الهاوية إلى الجحيم إلى أي مكان هذا لا يهم

المهم انني اشعر ببرودة داخل صدري وأن روحي قد عادت إليّ مجدداً.....

(١٥)

#الصباح_الثاني_في_منزلي

استيقظت باكراً بعد ليلة خالية من طيف المُسن ومن تلك الهلاوس التي كانت تراودني طالباً من الوقت الإسراع أنظر إلى ساعتي وأتمنى أن يمضي الوقت مسرعاً حتى يأتي الليل ليبدأ حديثي مجدداً معها

اقتربت منها أنظر إليها راودتني نفسي قليلاً هل أشعل تلك الشمعة الأن وأستبق الزمن في محاولة فاشلة لحبس الذكرى اللعينة ومنعها من الخروج والبوح واستنزاف جرح يرفض الالتئام

أم لمنع عرض شريط الذكريات امام عيني مجدداً

لكن خشيت أن تحل لعنة الشموع على روحي إن قمت بإشعالها الأن

قررت الانتظار لحلول الليل وانا أُحصي الدقائق دقيقة

خرجت من منزلنا ذلك المنزل المؤلف من ثلاث غرف تلتصق ببعضها البعض وذلك المطبخ الضيق يبدو وكأنه ممر في منزل اكبر حجماً من منزلنا رُبما استنزف والدي طيلة حياته حتى قام ببناء بيتنا هذا بعد رحلة شاقة مع الزمن ومتعبة قضاها خارج البلاد

اقتربت منها قليلاً لا اشعر بحديث ابداً بدأ عقلي يلفظ تلك الهلاوس التي لو سمع بها احد العقلاء لوصفني بالمجنون

هذا لا يهم فإنهم لا يسمعون ما أسمع أنا

قلت لها لا تقلقلي سعود في هذه الليلة وكأنني أحدث شخص ما امامي

تركتها خلفي وأغلقت باب الغرف القيت السلام على شجرة الرمان في ابتسامة عريضة الوجه فبدأت تلك الاغصان ترقص فرحا لفرحي

وكأنها تقول طابت ليلتك البارحة يبدو عليك الفرح يا صديقي

كنت ذو قوة وإصرار على الدخول البارحة بعد تردد كبير

إن الإنسان يستطيع تحقيق ما يريده بالإصرار عليه لاتدع الخوف من القادم يجعل منك شخصاً تعيساً تقدم إلى الامام دائما ولا تخشى شيء

متجولاً في شوارع قريتنا من تل القرية إلى سدها بين ازقة البيوت أبحث عن شخص واحد يسكن هذه القرية لا أحد هنا إلا انا

وقليل من المارّة سلكوا طرق داخل القرية للعبور إلى قرى أخرى

مضى الوقت إنها الساعة الخامسة قبل غروب الشمس عدت الى منزلي أحضرت كأس من المته وقليل من سجائري على زاوية سطح منزلنا لا يسمع صوت إلا صوت القصف البعيد جداً ....

بدأ الليل مجدداً وحل الظلام في كل مكان كانت خطواتي تسير بالضبط على إيقاع ضربات قلبي وأخيراً انتهت خطواتي أمام باب الغرفة مُعلنا عن معركة جديدة في داخلها مع الشمعة ....

(١٦)

#الليلة_المظلمة

توقفت قليلاً أمام باب الغرفة بعد أن هبط الظلام على المكان ظلام شديد السواد يختلف هذا اليوم عن اليومين السابقين ففي الليلة الأولى كان القمر يسطع بشدّة وضوئه يُنير المكان كله

اما هذه الليلة وكأن الغيوم حجبت ضوئه ظلام أسود يحيط المكان

قررت العودة إلى السطح وجلست في زاوية المنزل منزل مهجور في احدى حارات القرية في عزلة صغيرة عن البشر قضيت قليلا من الوقت على سطح المنزل أستشعر برودة المكان أحادث نفسي كمجنون وينتابني شعور الخوف هل سأدخل مجددا الى غرفتي أم ماذا لم يحن الآوان بعد لم يأتي موعود حديثي مع الشمعة اعتقد انها حجز ساعة معي روحي إلى لقاء سوف يجمعنا عن قريب ساعة كما يرددون أن لكل ساعة ملك يكتب بها الذنوب فإن هناك ملك يكتب الحسنات اذن لكل ساعة شعور مختلف مزاجي بعض الوقت وعصبي في بعضه الاخر وهادئ بعض الأحيان ...

ياترى ما هو شعوري الان وكيف يُصنف

(١٧)

#الشمعة_الاخيرة_في_غرفتي

قررت الدخول الى الغرفة وأشعل تلك الشمعة الاخيرة لبدء محادثتي معها بعد نهار طويل لم يمضي بسرعة هذه المرّة

دخلت الى الغرفة قائلاً بسم الله وأشعلت تلك الشمعة ورحت مستلقيا على ظهري انظر إليها وانا انظر إليها شعرت بصوت أنين يخرج من جدران منزلنا مصطحباً معه الالم وكأنها صرخات قوية يكاد يقف قلبي من شدتها ربما من شدة الخوف بدأت أهذي أو اتخيل تلك الاصوات قلت لنفسي هكذا لأبعد عن روحي شعور الخوف

حدقت قليلا في تلك الشمعة كانت اصغر حجما من اخوتها وبدأت تذوب بسرعة كبيرة دون ان يصدر منها صوت واحد

فقررت ان أحادثها انا وقلت لها أخبريني ايتها الشمعة ماذا حصل .

سمعت صوت يخرج من نارها الملتهب لا استطيع الحديث الأن وقد آن الآوان لن أمكث قليلا في احتراقي وسوف يختفي هذا النور المنبعث مني إلى الأبد لا تخشى شيئاً عند إنطفائي قاوم لأنني أرى النصر في عينيك الخضراوتين الجميلتين قاوم فإنك لن تهزم اليوم نسمات باردة اخترقت شبك غرفتي لتصفع تلك الشمعة وتنهي الحديث بيني وبينها الذي لم يدم لدقائق قليلة

إن المُسن قد اقترب وبدأت طقوسه تجري في كل مكان أحذر جيدا ها قد أتى المُسن فانطفئت تلك الشمعة وأصبحت الغرفة مظلمة جدا حتى إن وضعت يدي أمام عيني لا أرها

(١٨)

#الشخصية_الخيالية

شيء ما اقترب الى شباك منزلنا المطل على شارع صغير خلفه

أنه شبح المسن نظر إلي في تلك النظرات المخيفة

قائلاً.....

أنا هُنا ....

لم أعتقد بأن المسن سوف يعود مجدداً لقد عاد أنه نفسه ذو الوجه المدور صاحب اللحية البيضاء يرتدي ثوبا ابيض وكانه احد الملائكة

لقد أخبرونا في الصغر ان الملائكة ترتدي ثياباً بيضاء وكلها ابيض من شدة النور فيها ام الشياطين تأتي بلون اسود ترتدي الاسودة لشدة الكفر فيها

إذن هذا ملاك وليس شيطان هكذا حدثت نفسي قليلا قبل أن يبدأ الحديث معي

قائلا السلام عليكم كيف أمضيت الليلتان السابقتين

وها انت الان ثلاث ليال سويا تنتظر قدومي

مرحبا بك في الشخصية الخيالية التي تسجد داخلك يا ..ح..

اكتفيت انا بالاستماع له وكأنني طالب في كلية ما أستمع لأحد الدكاترة وهو يلقي علينا المحاضرة

قال انا جزء من شخصية خيالية في مفكرتك هكذا كنت في البداية حتى تسللت رويدا رويدا الى قلبك فاستقرت شخصيتي داخل قلبك في زنزانة محكمة الإغلاق في سجن القلب

اه ربما انا أهذي وانا اسمع لكلماته هكذا قلت بيني وبين نفسي

نضهت من مكاني لأخرج من هذه الغرفة المظلمة فتلقيت صفعة قوية طرحتني ارضاً يبدو ان المسن حقيقة من قام بصفعي الان

وضعت على وجهي غطاء ورحت اردد المعوذات بصوت عالي جدا

قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس قل هو الله احد

وبداة روحي تقرأ اية الكرسي بشكل لا إرادي من شدّة الخوف

دقائق قليلة وانا على هذه الحالة شعرت بأن المكان أصبح خاليا من كل شيء رفعت الغطاء عن وجهي ابحث عن هاتفي اشعلت الإنارة من هاتفي وبدأت اتفقد المكان كان جزء من خيال ربما فقلت ماذا لو كانت هذه الكلمات اضغاث احلام وماذا لو علم القارئ الان ان هذه الرواية التي يقرها هي مجرد حلم صغير راودني في ليلة عابسة

ربما لو كان اضغاث احلام لاستيقظت على صوت احدهم كان يفكر فيك

اه ماذا لو كانت تلك الفتاة الصغيرة التي ترتدي الابيض احقا تذكرني ام ماذا ...

(١٩)

إنها الليلة الاخيرة التي تغيرت بها

قصت له الشمعات الثلاثة وحدة ثمانية اعوام على رفوف المطبخ

نعم أنني أحتاج لمن يُعيد السلام لروحي كم اتمنى ان تباغت مشاعري فجأة برسالة صغيرة تقول لي اشتقت لك

غلبني النعاس حتى استيقظت في الصباح كان الجو في الخارج صحواً والشمس كاشفة عن حُسنها من دون خجل والسماء قد خلت من الغيوم والهواء كان خفيفاً يعيد الروح شعرت بان جسدي لم يعد ذلك الجسد الذي كان ثقيلاً قبل تلك الليالي الثلاث في منزلي المهجور وكان مزاجي هذه المرة لا يحمل معه الكئابة التي حملها طيلة سنوات الحرب في بلادي .....

(٢٠)

#تجارة_الاسلحة_كتجارة_الخضراوات

بعد ليلة خالية من طيف ذلك المُسن استعدت نشاطي في ساعات الصباح الاولى مقرراً البقاء في منزلي لعدة أيام ابحث بين أفكاري عن هذا المسن وهل سوف ينتهي الامر بقتله لي أم أنني سأقتله

القتل

للقتل أدوات كثيرة فإنني أستطيع اقتناء سلاح بسيط وأوجه له ضربات كثيرة لكن كيف يستطيع الأنسان أن يوجه ضربات لطيف وربما شبح

في حقيقة الامر أننا أصبحنا نعيش في بلد تُباع فيه الاسلحة كما تُباع فيه الخضروات في بازارات تحتوي كافة الاسلحة بعد تلك السنوات القاسية التي مرت بها بلادي

فترى معظم تجار الاسلحة والأفضل أن نقول تجار الحرب يبيعون كافة انواع الاسلحة حتى تلك الأسلحة التي لا نشاهدها الا في معسكرات لجيوش كبيرة

هذا لا يهم فكلهم يتاجرون بدماء الابرياء وأرواحهم بعد نشوب الحرب الطاحنة في سوريا

شريط الذاكرة بدأ يترسم أمام عيني مسترجع بعض اللحظات الأولى التي هبت بها نسمات الحرب على بلدي

كانت قبل غروب الشمس بدقائق قبل أن يهبط الليل على قريتي

أتذكر جيدا تلك الساعات كانت الشوارع مليئة بالسكان كل شخص يسعى لأمر ما

بينما كانت والدتي تحضر لنا وجبة العشاء

اصوات صراخ بدأت في إحدى حارات القرية تبعه صوت انفجار كان هو الاعنف لمسامع الجميع

الكل بدا يتساءل ما الذي حصل وما هو ذلك الصوت

في الحقيقة ربما لم نسمع اصوات قذائف إلا في شاشات التلفاز في العراق وفلسطين بعد غزوها من قبل الاحتلال

أما ألان إننا نعيشها حقاً

بدأت تلك القذائف تتساقط على القرية وكأنها قامت القيامة

ترسمت أمام عيني بعض الذكريات محاولاً استرجاع الماضي لكنني فشلت ربما قليل من الدقائق أعادتني إلى اول ليلة قضيناها في رعب منذ عدة سنوات في هذا المنزل

اما الأن قد مضى وقت طويل والأيام تمشي مسرعة تلعن عن شرارة الحرب الدائمة التي حصلت يوما ما هنا

(٢١)

#العودة_مجدداً

بعد أن ترسمت قليل من الذكريات أمام عيني قررت العودة من حيث اتيت فإن تلك الليالي الثلاث التي قضيتها في غرفتي مع شبح المسن وتلك الشموع وشجرة الرمان كفيلة بان تعيد نظرتي إلى الحياة بل ربما لتزيل بعض الكئابة من روحي لتنهض من جديد وتترك الامر للأيام لتكشف حقيقة المسن

بدأ عقلي يقلب كثيراً من الكلمات

وهل سأعود مجددا الى تلك البقعة الصغيرة في ذلك الجبل الذي لا يسكن فيه إلا العقارب والأفاعي

نعم سأعود واطلب من والدتي إحضار بعض من طعامي المفضل. كالأرز والملوخية وكأنني قضيت ثلاث سنوات في هذا المنزل لشدّة الألم والخوف الذي عشته مع طيف هذا المسن في ليالٍ هي الاقسى من نوعها وهي في الحقيقة مجرد ثلاث ليال فقط

(٢٢)

#المخيم

خرجت من منزلنا باحث عن احد لعودتي إلى المخيم وفي محن الصدفة رأيت احد قاطنين المخيم في القرية لوحده

سالته هل انت عاد الى المخيم قال نعم انتظرني في ساعات الصباح الاولى لنذهب سويتاً

قررت الانتظار لعدم وجود مراكب تقلني الى ذلك المكان

مرّ اليوم مسرعا قبل غروب الشمس بدقائق اتى ذلك الرجل وأصطحبني معه إلى منزل احد أقاربه في قرية مجاورة لقريتنا لقضاء الليلة عندهم بينما انا أحدث نفسي عن تلك الليالي وماذا حصل بها

لفتُ انتباه هذا الرجل فقال ماذا بك وكأنك جسد بلا روح لم تنطق حتى بكلمة واحدة هل انت مريض ويبدو عليك التعب

هيا اخلد النوم فأمامنا طريق طويل في الصباح

نظرت اليه وهززت برأسي وقلت له سوف أخلد إلى النوم الأن

في ساعات الصباح الأولى انطلقنا الى ذلك المكان بعد ساعات قليلة

وصلنا اليه

مرحبا طاب يومكم كيف حالكم

اهلا وسهلا اين انت منذ عدة أيام

كنت في ضيافة احدهم في قريتي

ضيافة وفي القرية ماذا تقول ومن يسكن تلك القرية الا الاشباح

هل واعٍ على كلامك ام انك مريض

نظرت قليلا هل اقول لهم أنني كنت في زيارة المسن في بيتي ام انهم حق سوف ينظرون إلي وكأنني شخص مجنون

أكتيف فقط بإبتسامة عريضة تُنهي الحديث معهم

واتجهت إلى خيمتي ....

(٢٣)

#الاستيقاظ_الكاذب

هل هو حلم عميق أم أنني أعيش في يقظة وربما ما زلت في الواقع مستغرقاً في النوم

لكنني نفذت اعمال الصباح اليومية كالاستيقاظ وشرب المته و التنظيف و الأكل وانني تحادثت مع شجرة الرمان والشموع وطيف ذلك المسن وعدة كلمات قالها لي واغصان شجرة الرمان التي كانت ترقص فرحا وتلك الحفلة الصغيرة التي قامت بها معدات المطبخ احتفالا بعودتي الى المنزل هل هو حلم مزدوج أو ربما حلم داخل حلم آخر

يمكن أن تصبح جوانب معينة من هذه الرواية درامية وربما خرافية جدا أو غريبة شيء ما

الاستيقاظ الكاذب يمكن لبعض الأمور أن تبدو خاطئة فيه مثل تفاصيل هذه الرواية وربما ذلك المسن وعدم القدرة على الكلام أو صعوبة القراءة أزعم بأن القراءة في الأحلام صعبة أو مستحيلة ولا يمكن أن أكتب كل هذا في مجرد حلم زائف لكن ربما هو حلم مزدوج او حلم داخل حلم .....

(٢٤)

#الهلوسة

إن الهلوسة كماقرأت عنها بمفهومها العام هي الإحساس بمحسوس غير موجود من التوهم والذي هو عبارة عن إحساس مشوّه أو مفسّر تفسيرا خاطئا

وإن كان ذلك المسن وحديثنا في ثلاث ليال هو مجرد هلوسة وربما هو حلم الذي يتحقق بإرادة الإنسان فإنني أريد تحقيق هذا الحلم للقضاء على طيفه بل ربما على شبحه وربما على الهلوسة التي اوصلني إليها بعد صراعات كثيرة بين الروح والجسد مباغتاً قلبي وعقلي مدمرا كل شيء

صوت من بعيد يأتي يتردد بسرعة كبيرة

قائلا لا لا انها ليس الهلوسة

إنني المسن ربما خسرت المعركة البارحة لكنني سأعود إليك مجدداً ولا تنسى انني تركت هنا جنودي كالندم والحسرة والأرق وسأضيف إلى الجنود اقواهم هذه المرّة هكذا قال ورحل صوته كما رحل إلى المجهول مجدداً ....

رواية المُسن

(٢٥)

#راحل_لن_يعود

كان مشهد الرحيل مهيباً بعدما قال المُسن عدّة كلمات لي ثمّ رحل مجدداً

كجنازة هو في مقدمتها تمشي حوله جموع من الناس لنقله إلى مثواه الاخير وتبكيه حتى الشموع وشجرة الرمان في ذلك المنزل

فتحت تلك العيون الخضراوتين لأرى من يحدثني ولكنني لم أجده

بل كان ظلاً هو من يتحدث ورحل وربما لن يعود

لكنه اخبرني بان هناك لقاء جديد بيننا لكن لم يحدد لي متى ذلك اللقاء وهل سأبقى مع جنوده ام ماذا

ومن ذلك الجندي الذي اخبرني بانه اقوى جنوده

رُبما الندم او الأرق وربما الحسرة اما أنا فأعتقد بأنه الاكتئاب

بدأت أشعر بأنني في عالم اخر عالم لا يوجد به إلا المسن مع تلك الشموع وشجرة الرمان مع جنود ذلك المُسن

عالم لا يوجد فيه الكذب ولا البغض عالم بلا أقنعة الكل يتحدث كما شاء وقت ما شاء ربما هو عالمٌ دون قيود لم يكن ينغص عليه صفو حياتي سوى شعوري بأنه عالمٌ شبحي غير حقيقي

ربما لأنني لا أشعر بوجود الناس ولا الأشياء من حولي

هو راحل الأن لكنه سوف يعود.....

(٢٦)

#فقدان_الأمل

يوم يتبعه الاخر دون أن يأتي ذلك المسن في ساعات الصباح الاولى

التقطت سيجارة وتوقفت عند باب الخيمة أنظر إلى المخيم

جميعهم نائمون إنها ما زالت الساعات الأولى ومن يستيقظ في مخيم غلب عليه روح الفقر في كل خيمة من ساعات الفجر الأولى

إن معظم سكان هذا المخيم يبقون ساهرين للصباح وكأنهم جنود يحرسون حدود الوطن ويقضي معظم الشبان باقي يومهم نوما حتى المساء وربما لا ابالغ إن قلت حتى الليلة الثانية

فقدت الأمل بعودة ذلك المسن مجددا لكنني ما زلت أسمع صوته في صدري لا مفر إذن حتى وإن غاب طيفه سيبقى له أثر في داخلي تجمدت كل مشاعري وأحاسيسي محاولا الإصغاء لذلك الصوت الذي يصدر من صدري لكن لا فائدة من ذلك الأن

مرت الايام وكأنها الف عام ولم يأتي ذلك المسن

بداة حياتي تعود لمجرها بدون طيفه بعدما فقدت الأمل بانه لن يعود.....

(٢٧)

#من_سد_ثقوب_النور_في_بلدي

مرت أيام كثيرة خالية من طيف المسن وخالية من تلك الهلاوس التي كانت تلاحقني خالية من أي حديث دار بيننا حتى الحديث في أخر ليلة قد طوى الدهر عليه كثيراً فلم اعد أتذكر منه شيء

ربما بعض الكلمات وربما حزن شجرة الرمان وربما قليل من حديث الشمعة وتلك الحفلة التي قامت بها عدة المطبخ في منزلنا

لكن من سدَّ ثقوب النور في بلدي من وضع بلدي في هذه الظلمة السوداء كما نسمع بانها غيمة سوداء وسوف تنجلي يوم ما لكن لماذا كل هذا السواد حلّ واستوطن البلاد كلها

بعد أن يئست الناس من أن يبصروا شعاع نور واحد يخرج من بين الدمار والحطام ليبشر الناس بأن الحرب شارفت على الانتهاء

ربما قلوب معظمنا أصبحت كالصخور تشعر بالألم ولكنها تصمت حباً لمن يسبب لها ذلك الألم ....

(٢٨)

#مطرقة_داخل_رأسي

دقات عقارب الساعة وكأنها مطرقة داخل رأسي مددت يدي ابحث عن هاتفي دون أن افتح عيناي كي لا أزيل أثر النوم الذي لم أراه من قبل فقدته بقدوم ذلك المسن منذ زمن بعيد

بدأت المطرقة تهاجمني بشراسة تزيد داخل رأسي كلما حاولت إيقاف نغمة المنبه أشعر بأن النغمة كمطرقة تطرق داخل رأسي

وضعت اصبعي على زر الإيقاف لإيقاف ذلك المنبه المزعج دون فتح إحدى عيوني ليبقى النوم مسيطرا على جسدي

وأغلقت عيناني الخضراوتين غارق في نوم عميق جداً رافض أن اصحو منه مجدداً .....

(٢٩)

#حقيقة_المطرقة

بعد ساعات نفضت من على جسدي ذلك الغطاء بدأت أتجاذب مع نفسي أطراف الحديث وأضحك بضحكة تعلوها ابتسامة بسيطة

على حالتي وبان المطرقة التي كانت تطرق في رأسي هي من البناء المجاور لخيمتي حيث بدأت ورشة للبناء بالعمل واحد العمال يطرق بمطرقة الواح الخشب لتثبيتها

شعرت بأنني توقفت قليلاً لساعات في هذا الوضع وكاد ان يتوقف قلبي رعبا من صوت المطرقة أغمض عيوني كي لا أرى ما يحدث

خائفا من عودة ذلك المسن ذلك الماكر المخادع الذي يترصدني دائما

يتعقب أخطائي لذكرني بها أنه وغد حقيقي وربما انا كنت جزء من لعبته وكأنني بيدق على رقعة شطرنج هو قائدها .....

(٣٠)

#بيدق_على_رقعة_شطرنج

رغم مرور الأيام متسارعة واصبحت ربما شهور راودتني الأحلام بأن ذلك المسن هو بيدق على رقعة شطرنج وربما في روحي

هو لم يكن وسميا كان الشيب قد غطى راسه وحتى تلك اللحية تبدو بيضاء كثيرة وكأنها قطعة ثلج او ربما ظهرت باللون الابيض لمدى خبرته في هذه الحياة

لم اخطأ عندما ظننت بانه سوف يعود ليكمل حديثه معي

ولو كنت أعاني من مرض نفسي لذهب إلى الطبيب اشكو له مرضي

لكن ماذا سوف يقول لي

استحضر لنا ذلك المسن لنقول له ابتعد عن مريضنا

ما هذا الهراء وان سألني الطبيب ما أسمه سأكتفي بقول المسن

أو ليس له إسم يُنادى به وأنا أعلم جيدا بأنني لو رأيته مجددا بن يخبرني عن اسمه ولكنني أحتاج اسما مستعار أناديه به

ربما المسن هو افضل اسم مستعار يتطابق مع شخصيته المجهولة .....

(٣١)

تَمرُ بك ساعات تشعر بأن كل شيء يثقل في صدرك تكون وحيداً تعيد النظر بأشيائك القديمة مشتاق لذاتك لتعيد نبشها وتواجهها بعد طول هجر لتفجر القنابل الموقوتة في داخلك

رحلّ المُسن ورحلت معه الأصدقاء ورحلت معه كلمات شجرة الرمان بل حتى تلك الشموع التي أنارت لي ثلاث ليال قضيتها في منزلي في عزلة عن الجميع رحلوا جميعهم للمجهول لكن ثمة هُناك غصة وأثر كبير وخدشٌ داخل القلب نعم لقد رحلوا لكن ما زالت كلماتهم تؤثر في

ربما عند رحيل احدهم من حياتنا إلى العالم الاخر حيث هناك لا يفتقد أحدهم الاخر تبقى خلفهم كلمات يصعب علينا نسيانها

كالأم الذي لقدت ابنها في الحرب وكالزوجة الذي فقدت زوجها ويبقى في قلب كل احدهم كلمات لا تنسى ابدا رغم رحيل من أحبو

مرت الأيام مسرعة ولم اعد أرى طيف ذلك المسن

لقد رحل للمجهول كما رحل اول مرة في لقائنا في تلك المحطة ...

(٣٢)

#حقيقة_المسن

من هو المُسن وكيف بدأ طيفه يسكن في أحشائي ويأخذ من روحي موطنا له ولجنوده الذي أتى بهم

من هو.....

هل هو أنا حقاً في شخصية جسدتها من تلقاء نفسي

كقذيفة هاون أُطلق من سنفونية مدفعية دكت بها منازل الأبرياء في بلدي لتحول أجسادهم إلى أشلاء متبعثرة

تبعثرت كلماتي خوفاً وأنا أتسأل من يا ترى هذا المسن ...

إنه تلك الغصة التي فجرت بركان الغضب لتلقي بحممه على أجساد الأبرياء

من هذا المسن ...

أنه ذلك الخدش الصغير داخل القلب الذي بدأ يكبر مع تقدمه بالسن

هو شجرة الرمان التي بكت حزن على فراق من كان يؤنسها في ذلك المنزل

هو الشمعات الثلاثة في تلك الغرفة الصغيرة في منزلي

هو تلك النغمة التي كانت تخرج من تلك الحفلة التي قامت بها المعالق والصحون على رف المطبخ

من هو المسن

هو المستقبل الغامض الضبابي المجهول الضائع بين حرب طاحنة

هو لعنة الذاكرة التي حلّت على مخيلتي ....

(٣٣)

#طويت_خريطة_سوريا_لكن_لم_أمزقها

بدأت استرداد بعضاً من عافيتي بعدما خرجت من ذلك المنزل بعد ليال ثلاث هي الاقسى من نوعها متجها الى مخيمي وبعدها

قررت ان أطوي خريطة سوريا من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب متناسياً ألم كبير وضعه ذلك المسن في جسدي

لكنني لم أمزقها أملاً بعودة لها يوم ما

لكنني أشعر بأنني لن أعود سوى جثة إليها .....

(٣٤)

#تصنع_النوم_عند_لقائنا_الأخير

لماذا تصنعت النوم عند لقائنا الأخير كانت أطرافي عاجزة عن القيام لمواجهة ذلك المسن ولا أستطيع القيام بأية ردة فعل تجاهه

كنت ادفن نفسي في زاوية مظلمة جدا يحكمها شبح المسن

كنت اشعر بالخوف بالذبول بالضياع وحتى بالموت الداخلي

كل جسدي كان يؤلمني ذراعي قلبي شفتاي عيناي أردت مقاومة ذلك المسن لكن خانتي قدماي في لحظة ضعف كنت اريد الانتقام منه وربما قتله قبل الفرار والرحيل إلى المجهول كنت قد أصررت على سحقه وأن أخرجه من روحي وهذا حق من حقوقي لقد رحل المسن ورحلت انا من سوريا إلى مكان أخر.....

(٣٥)

#الرحيل_إلى_الخارج

ساعات الصباح الاولى

ما هذا احقاً خرجت

إلى اين أذهب الان

ولما انا في هذا المكان

كلمات كثيرة تتردد على مسامعي وكأنني اصغي اليها فقط

ما عساه يريد مني هل يحبني هل يكرهني لم اتوقع رؤيته مجددا

بعد تلك الليالي التي قضيتها وحدي مع شجرة الرمان والشموع

عندما احاط برقبتي مهددا بالعودة مجددا

تقوقعت بانها المرة الاخيرة التي أراها فيها وبانه سيختفي فجأة كما ظهر لي فجأة في يوم من الايام

لقد خرجت من ذلك الروتين اليومي القاتل في المخيم خرجت حيا بعد صراع طويل في ذلك المنزل المهجور

لكن إلى أين انا ذاهب الان ... الى مدينة بعيدة جدا عن بلادنا

الو مرحبا اخي

اهلا

اخي انت ايمت طالع على مدنية ... أ ت أجابني عند المساء

طيب اخي احجزلي معك انا طالع

اتفقنا عند الساعة الثامنة بان نلتقي

كم أخشى السفر ليلاً لا لا أنا لا اخشى السفر لكنني أخشى ان اشاهد ذلك المسن عند احد المحطات كما شاهدته منذ عدة سنوات في نفس البلاد ويعيد لي ذكرياتي في المنزل المهجور وتلك الخيمة

صعدنا في التكسي متجهين نحو تلك المدينة

كنت الاحظ طيفا يلاحقنا لكن لا اعلم ان كان هو ام خيالنا

وكأنني اراه لكننا متباعدين كثيراً كأننا على حافة وادي شاهق كنت اراه بعيدا وغريبا

وهو نفسه الذي كنت اذوب خوفا بين يديه قبل عدة أيام

(٣٦)

استيقظ يا اخي لقد وصلنا

احقا وصلنا أين نحن الان في تلك المدنية

يبدو انني قضيت وقت طويلا بعيدا عنها حتى كدت لا اعرف طرقها ابدا

لم أستطيع فتح تلك العيون الخضراء ابدا

شيء ما يشعرني بالخوف هل ما حدث معي هو مجرد حلم عابر لكن الاحلام تأتي جميلة ربما هو كابوس لم اصحى منه بعد

بعد مقاومة طويلة قمت بفتح عيوني هل ما اراه حقيقة ام أنني ما زلت نائم على وسادتي في تلك الخيمة

أردت ان اقول لاحدهم هل نحن هنا حقا

لكن ماذا لو قلت له ماذا يا ترى سوف يكون جوابه

سيصفني بالمجنون نعم انا متأكد بانه سوف يقول بأنني مجنون

ويحّ قلبي هل اصبحت حقاً مجنون تباً لذلك المسن اللعنة عليه

.....

(٣٧)

مرت الأيام مسرعة الشهر الثاني في هذه البلاد أستيقظ في ساعات الصباح الأولى مُبكراً أشرب فنجان قهوة وأذهب إلى مكان عملي

الأمر الذي أفقدني صوابي أنني منذ عدة أيام كنت في قرية شبه خالية لا يسكنها إلا الأشباح أما اليوم تغير كل شيء

في يوم الأحد أتذكر جيداً تلك الليلة قررت الخروج من المنزل متجهاً إلى أحد الاصدقاء في تلك البلاد الغريبة

وربما نحنا غرباء بالنسبة لها

في ليلة هي الأسو خرجت من ذلك المنزل في الطابق الرابع وربما الخامس لا احصي عدد الطوابق لأنني اصعد اليه على درج لم يكن هناك اصنصول هذا لا يهم

على الرصيف وانا اتقدم خطوة خطوة نظرت حولي رأيت

فتاة شابة تبلغ العشرين من عمرها وربما أكثر تقف على زاوية مظلمة

رحت اتذكر احد الروايات رواية عتبة الالم التي صيغت كمسلسل تلفزيوني وهو الندم

كان صاحب الشخصية يتجول وفجأة تقطع طريقه فتاة يبدو بانها من فتيات الليل

فقال جملة ما زالت تحفر في ذاكرتي قصتك بتوجع

ردت عليه وقالت بتوجع مين

بتوجع الناس اللي عندهن ضمير ونحنا عم نفقد الضمير ويمكن اغلب الناس باعت ضمائرها من أجل الأموال

يبدو بأنها أحد البُغاة وكيف لإنسان أن يبيع جسده من أجل المال .....

اكملت طريقي دون الالتفات خلفي حتى لا أرى شيء...

(٣٨)

#هل_كنت_في_وهم

لا أعلم وربما في حقيقة الأمر أنني لست متأكد بانني سلكت ذلك الطريق البارحة ومن يدري ربما سلكت احد الطرق التي اوصلتني لهذا المكان وربما كنت في دهاليز كثيرة يملئها الوهم

في الحقيقة ما زلت اعيش الوهم ذلك الصديق المحبب للمسن

إنني بذكائي وفطنتي وخبرتي إلا أن ذلك المسن اللعين استطاع السيطرة على عقلي

حقاً وكيف ذلك

كيف كيف لا أعلم لكن انني اشعر بأنه ما زال يتعقبني حتى هذه اللحظة بعد مرور عدة شهر بدونه

ارتبكت قليلا بعد أن تفاجئت بوجود شخص جانبي وهو يسألني عن مكان يود الذهاب إليه

قال ما بك ما الذي يضحكك

قلت له لا شيء فقط تذكرت قصة حدثت معي ربما كنت اضحك حقا لكن روحي كانت تقيم بيت عزاء كبير جداً

تباً كدت أنسى. إلي. أين أنا ذاهب ربما أنني أعيش في وهم المسن مجددا..... كان الأجدر بي أن أذهب إلى المستشفى وليس إلى ذلك الصديق أنني أشعر بوخزة صغيرة داخل قلبي ربما تلك الإشارة لعودة ذلك المسن مجدداً.....

(٣٩)

يوم يتبعه الأخر كنت منهمك في العمل أخرج من ساعات الصباح الأولى ولا أعود حتى ساعات المساء أرتب اغراضي وأخلد للنوم

بدأ ذلك الروتين كعادة يومية في اشهر طويلة جدا في بلاد لم أتوقع يوما بأنني سوف ازروها وربما لم أعلم بوجودها على الخريطة

هذا لا يعني بأنها غير موجودة لكن ربما انا لم أراها...

إننا في حقيقة الامر نخاف أن نتعذب لذلك نبذل أقصى جهدنا لنبدل الواقع وما أن نبدأ في ذلك حتى يتحول ذلك التبديل إلى مصدر الخوف وربما يتبدل الى حالة مرضية تنشأ عادة من جرّاء تجارب فاشلة أو تتولد نتيجة لصدمات نفسية عنيفة .....

(٤٠)

#شعور_الإفلاس

بعد اسبوع اخر ربما كنت اتوهم ان طيف ذلك المسن يتعقبني جلست لوحدي اقول بيني وبين نفسي يا ترى ما أصعب شعور قد يمر به الإنسان في حياته هل شعور الخوف من شخصيات مجهولة أم شعور الخوف من الموت وانا أتسأل في لحظة شرود ذهني

صوت من بعيد يأتي يقول إنك حقاً لن تعرف ذلك الشعور

يبدو صوته مألوفا لي وكأنني قد سمعت هذا الصوت لكن أين اين

بدأ شريط الذاكرة يترسم حول عيوني إنه صوت ذلك المسن

يا إلهي لقد عاد مجددا ماذا سوف افعل الأن

صمت قليلا لأصغي جيداً لذلك الصوت

بدأت بالإقتراب ما هذا لقد ذهب النور من غرفتي

بدأت طيف ذلك المسن يترسم امام عيني

قائلا كيف حالك .....

إنّك لن تعرف ما هو اصعب شعور إن أصعب شعور يمر به الإنسان هو شعور الإفلاس

ههه ضحكت بصوت عالي الإفلاس من ماذا ايها المسن المعتوه

بدأت بنظرات غريبة أتصفني بالمعتوه يا ...

او لا تخشى من لعنتي

لا لا أنا لست في ذلك المنزل المهجور وهنا لا يوجد شجرة رمان ولا حتى شموع لا اخشى شيء هات ما عندك أيها المسن هيا

لكن ماذا تقصد بشعور الإفلاس هل الإفلاس من الاموال ...

قال بغضب أنها معتوه أيها الفاشل محاولاً إثارة أسوء ما عندي

يحاول استفزازي ليظهر له الجانب السيء مني

حاولت أن اتكلم فقال لي بصوت عالي اخرس واصغي لي جيداً

يبدو بأن المعركة قد بدأت

بدأت أصغي له ولم أتي بأية حركة

قال ذلك المسن

إن ذلك الإفلاس هو الإفلاس من الحب من الأمان من المشاعر من الأهل الإفلاس من كل الجوانب أيها المعتوه

لكن أصعب شعور هو شعور الإفلاس من الأموال ....

بدأ صوته يبتعد قليلا حتى اختفى صوته مجددا رحل نعم لقد رحل مجددا يا إلهي متى سوف اخرج من هذه الحالة.....

#الأحلام_الوردية

بعد رحيله بدقائق بدأت الحديث أنا ربما ذهب شعور الخوف معه

قلت اسمع ايها المسن لولا تلك الأحلام الوردية التي جاءت بك يوم ما وربما بطيفك لما كنت انا هنا الان

نعم هي الاحلام الوردية في البداية قبل أن تأتي لتحولها الى كابوس يبدو بأنني لن اصحو منه ابدا

تلك الأحلام هي من جلبت طيفك اتعلم لماذا ..

نعم لتُعطيني إمكانية التعرف على ذاتي نعم لقد تعرف على ذاتي برفقتك وبرفقة الشمعات الثلاثة وشجرة الرمان في ذلك المنزل

لكن لقد كانوا أحنُ منك بكثير أيها المسن أما جنودك كان الأرق اشدهم قساوة على روحي الضعيفة

ذلك المرض النفسي اذا حلّ على احدهم حول جسده إلى غرفة تعذيب تتلقى فيها الروح أشد انواع الألم حتى تصبح مشلولة الحركة وما فائدة الروح في جسد مشلول ....

رواية المُسن

(٤٢)

#هل_أنا_بخير . ؟

أنني على موعد مع ذلك المسن اترقب قدومه واشعر بالخوف أخشى ان يجلب لي الحزن مجددا

من هو يا ترى

هو ذلك الضيف الذي اصبح ثقيلاً بعد أن حط رحاله على جسدي

هو المجهول الذي بدأ منذ عدة سنوات ربما

ولما هو ضيف ربما أننا مجبرين على فتح ابوابنا دوماً لكل زائر نتمنى قدومه ولا نتمنى في بعض الاحيان

ماذا سأفعل الان ربما يجب عرض حالتي على طبيب

لانني مهما اتخذت التدابير اللازمة لن ينفع مع ذلك المسن

يبدو بأنني لست بخير ابدا وكيف لنا أن نكون بخير في بلد هي ليست بخير نعم إنني كوطني لست بخير أبداً .....

سلام عليك يا وطني السلام لكل شبر في ارضك حتى يعود الخير لك يا وطني...

(٤٣)

#هل_تراه_مجدداً

أستطيع رؤيته من مكاني هذا وعبر تفاصيل تلك الليالي الثلاثة في منزلي ورغم بعدي عن المكان أنه يقف خلف شباك غرفتي المظلمة في منزلي المهجور يستند بظهره على جدار منزلنا ليستمد منه بعض القوة والصبر وربما التحمل يبدو أنه قد جائني في ذلك الوقت من بلاد بعيدة جداً حبات العرق تبدو واضحة على جبهته اخرج من جيبه منديل ليمسح جبينه المتعرق يبدو انه قادم من بعيد جداً

لم يبدو عليه الاستعداد لبدء المعركة الروحانية معي

لكنني لا استطيع الكلام فقط اصمت وانا أتأمله جيداً

لا يختلف وجهه عن ذلك المسن ابدا لكن تجاعيد وجهه باتت أكثر منذ اخر لقاء حدث بيننا في تلك المحطة

إنني آراه وكأنه امامي الان.....

(٤٤)

قوم يا ...ح... قوم تأخرنا عالشغل

فتحت عيوني بصعوبة بالغة وأنا اقاوم سلطان النوم والفراش الدافئ

أفتح عيني وأغمضها مجدداً على وجه أخي وهو يبتسم لي

قوم يا ...ح.. فيق تأخرنا مالك ناوي تروح يعني بلهجتنا كان يكلمني اخي في ساعات الصباح الأولى وسحب بطانيتي وقال يالله تأخرنا المعلم من ربع ساعة عم يدقلي يالله قوم

استسلمت اخيرا لصوته

ارتديت ملابس العمل وانطلقنا إلى العمل

مرت الساعات الاولى وانا منهمك في العمل ولا يبدو بأنني رأيت ذلك المسن البارحة ابداً

لكن يبدو علينا التعب حقا في هذه البلاد تشعر احيانا بانهم يخلدون الى النوم في لباس العمل صغار كبار اطفال نساء شيوخ كلها تعمل من ساعات الصباح الأولى حتى المساء ولولا حلول الظلام اعتقد بأنهم سوف يبقون في العمل .....

(٤٥)

#المُسن_يشار

الساعة السادسة والنصف صباحاً يوم الجمعة نغمة المنبه المزعجة مجدداً

الو....

مرحبا

هل أنت جاهز

نعم انا جاهز سوف أتي بعد دقائق

حسنا نحن ننتظرك بجانب الحديقة

صباح الخير كيف حالكم

اهلا صباح النور بخير كيف حالك انت

الحمد لله

كان المسن يشار بجانب السائق كم يشبه ذلك المسن الذي راودني في تلك الليالي حق وكانه هو وربما أنا اهذي من الصباح الباكر

كان الطريق طويلاً غلبني النعاس قليلا ثم صحوت مجددا حنى وصلنا الى قمة جبيلة عالية جدا

ماذا سنفعل هنا يا ترى واي عمل سوف نقوم به في هذه القمة

هل سوف نقوم بتقطيع الصخر ظننت بأنني في سجن وقد حكم علي مؤبد في الأعمال الشاقة وانني اعتقد بأن ذلك المسن لو استطاع وضعي في سجن لوضعني لكن هو مجرد طيف او شبح يزورني في بعض الاحيان

يرتدي العجوز يشار قبعة زرقاء فاقع لونها وبدأنا ساعات العمل الاولى في وضع إشارة حقيقة لم افهم لماذا نضعها هنا بالتحديد

مرّ يوم شاق متعب وانتهينا من وضع ما يقارب الف وخمسمئة إشارة

بدأت الشمس تزول خلف الجبال صعدنا مجددا في السيارة لنعود الى ذلك المنزل بعد يوم متعب جدا .....

رواية المُسن

(٤٦)

#كرجل_مرّ_على_قرية

بعد انتهائنا من العمل قبل غروب الشمس بدقائق نظرت تلك النظرات من طرف عيني الى ذلك المسن يشار وبدأت أحادث نفسي يا ترى ما طبيعة هذا المسن الذي سكن في تفكري منذ زمن رحت أسافر مع الخيال أتذكر كل الكلمات التي قالها

رُبما في بعض الأحيان يذهب بنا الخيال إلى أماكن لا نتوقع أن نصلها ولكن يبقى مجرد خيال مرّ من شريط المستقبل أمام عيوننا

رحت راكد مسرعا كسباق هرولة اتفحص ذلك المستقبل الغامض في طرفة عين لكن ما الفائدة من كل هذا لن يتغير شيء كُتب عليك أبداً منذ العالم الأزلي حيث قسمت الارزاق والاعمار عندما مسح الله على ظهر نبينا أدم عليه السلام فخرجت ذريته إلى قيام الساعة اذا ما كُتب علينا لن يتغير مهما حاولنا التغير ربما بعضنا يحاول التغير للأفضل لكن عندما يصل يتمنى العود إلى نقطة البداية حيث كان ربما بلا هموم زائدة عن طاقته رحت افكر وافكر كثيراً ويعود تفكيري لذلك المسن الذي استوطن في روحي

يا ترى هل حان الوقت ام ماذا ربما قد حان الوقت ربما قرر العودة مجددا وأنا بانتظاره

كانت كلمات خفيفة جدا لم يُصغي لها أحد

على جانبي الايمن يجلس اخي وامامي المسن يشار وبجانبه المعلم

وبدأ عجلات السيارة تدور مسرعة وبدأت رحلتي أنا رحلتي مع المسن مجدداً قليلاً من الدقائق سافرت هذه المرة مع طيف المسن لزمن ربما طويل وكأنني استمع لقصة نبي الله الذي أرسله الله لبني إسرائيل فأماته الله مئة عام ثم بعثه

بقوله تعالى

(كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال انىّ يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت مائة عام فأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وإنظر إلى حمارك ولنجعلك أية للناس)

هُنا بدأ التفكير يا ترى كم لبثت انا مع طيف هذا المسن ومنذ متى ويا ترى هل هذه الرواية التي تقرأها انت الأن مجرد محض صدفة وربما حلم كان في مخيلة شاب قرر ان يكتبها لتصبح رواية المسن ...

ماذا يحدث إنني أنتظر أن أصحو أنتظر النهاية بفارغ الصبر .....

(٤٧)

#حديث_النفس

وإن تبدو مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله

عندما نزلت هذه الآية قدم الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون هلكنا هلكنا يا رسول الله

إن أحدنا لَيُحَدِّث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وأن له الدنيا وما فيها، وإنا لمؤاخذون بما نُحَدِّثُ به أنفسنا هلكنا والله

ماذا لو جئنا يوم القيامة نحمل تلك الاوزار والأثقال على رقابنا من حديث النفس الامارة بالسوء وهل يا ترى سوف نحاكم على حديثنا مع نفسنا إذن ربما أنا سوف أحاسب على حديثي مع ذلك المسن

راودتني كلمات كثيرة خوفاً من وضع هذه الرواية في قائمة سوداء قررت الإبقاء وعدم كتابتها في اسطر هي الابشع حقًا إن سردتها .....

(٤٨)

#قدر_يفرحنا_وقدر_يُشقينا

عندما تراجع حياتك وعندما يترسم امام عينيك شريط الذاكرة الذي مرّ بك يوم ما عندها سوف تجد أنّ أجمل ما حدث في تلك الأيام ربما هي مصادفة مصادفة لقدر قد كتب عليك ربما يختبر الله صبرنا في هذه الأيام الصعبة

ولو عدت وابتعدت قليلا عن مسني المعتوه متجهاً بإنظار روايتي إلى بلدي سوريا أي ذنب ارتكبناه حتى نعيش هذا القدر أي جرم اقترفته أيدينا لنحيا في قدر يُشقي الملايين من أبناء بلدي

بين سندان ومطرقة الطرفين ضاعت كثير من القيم والأخلاق والمبادئ حتى فُقد الضمير مع الإنسانية ومات معه الألف من الشباب والشيوخ والأطفال والنساء

وكيف لنا أن نحيا اقدارنا مع أشخاص بلا ضمير وهل يتغير ذلك القدر الذي رُسم لنا خلال سنوات الحرب كما جاءت خلسة إلى البلاد

يا ترى هل سننتهي يوم ما ونجدد اقدارنا وما هو القدر

هل يا ترى كل ما جرى معنا هو مجرد صدفة أم ماذا ..

وإن كان حقاً صدفة سأعود إلى ذلك المُسن المعتوه وألعن تلك الصدفة التي جمعتني به يوم ما

إنني أكتب في هذه الرواية حقيقة ما يجري من حولنا في ارض إمتلئت قتلاً وحرباً ودمار ولا استطيع أن أحكي ما يحدث ولا أستطيع أن أغير مجرى حديثي عن ذلك المسن فأن القدر الذي جمعني به يوما هو بداية الشقاء .... .

(٤٩)

#راسخ_بذاكرتي

رُبما لمحاسن الصدف أنني إجتمعت في ذلك المُسن يوم ما منذ لقائنا الاول في إحدى المحطات قبل أذان الفجر بدقائق قليلة

حتى الذين يقرأون الان هذه الرواية يعتقدون أنه مجرد خيال كتبت بقلم شاب صارع المسن في ذاكرته كثيراً حتى سرد لهم قليلا من المعاناة الحقيقة التي عاشها بين ازقة المخيم والمنزل المهجور والشمعات في ثلاث ليالً مظلمة وحديث شجرة الرمان الذي ما زال إلى هذه اللحظة راسخ في ذاكرتي بعد أن مرت عدة شهور على تواجدي في بلد أخر لكن الامر الغريب أحقاً يجمع بيني وبين ذلك المسن هذه الرواية فقط أم ماذا لكن حدسي يقول بأنني سرأه مجددا في يوم ما سوف القاه في نفس المكان سأعود لأنتقم منه بعد أن سبب لي ذلك الالم الكبير وربما سأعود لمنزلي وأقطع شجرة الرمان التي كانت طريقاً سهل العبور إلي إن تلك الكلمات ما زالت راسخةً في ذاكرتي إلى هذه اللحظات نظر الى المرآة بجانبي وإستهزأت بحديثي الساذج حينها وقرأت على ملامح وجهي علامات الإستغراب حقًا..

#فات_الأوان....

(٥٠)

عدة نظرات رعشة خوف وإستغراب أمام تلك المرآة إستطاعت أن تظهر لكم هذه الشخصية في ذلك الشاب وما أجمل أن يبوح الإنسان بما يخفيه خلف جدران الحياة وربما بما يخفي من مشاعر وكلمات لو تحدث بها لنتهت أزمة التنهيدات التي تحصل في دقائق هي الأقسى من نوعها فالقناعة بأن البوح في هذه الامور تسقط عنك كثيراً من اللحظات الجميلة

هل فات الأوان يا تُرى أم ماذا

إننا نحتاج حقاً أن نخصص لأنفسنا ساعة واحدة على الأقل لننظر إلى أنفسنا ونعيد ترتيبها من جديد بل لنعيد لأجسادنا الارواح قبل أن يفوت الآوان ولا نستطيع ذلك ....

رواية المُسن

(٥١)

#العودة_في_الذاكرة

مساء ١٣ أكتوبر ٢٠١٣ قريتي

وكأنه القفز إلى المجهول وربما العودة في الزمن قليلاً

أتطرق بعيداً عن المسن لاسرد في روايته مُعاناة شعب كامل في ظروف حولت بلدي إلى أحد بلدان الصراعات الدائمة التي نشبت بعد الربيع العربي بعد أن عصفت رياحه سوريا

من سمع ليس كمن رأى

#يحدث الآن

أم حزينة على أولادها التي فقدتهم بين التطهير والتحرير

عائلة تمزقت أفرادها بين معارض لحكومة الدولة وبين موالي لها

أبناء حرمتهم الغربة من رؤية أباهم عند الموت

رجل مسن يبحث في القمامة على شيء ليأكله

فتاة تبحث عن عشيقها المفقود في سجل اسماء الأموات

مدير منظمة يعطي الإغاثة مقابل أجساد النساء

متسول يشتم القطة والفارة على أحد مكبات القمامة لأنه لم يبقى شيء ليأكله

ثلّة من الشباب يجتمعون على لعبة العصر

تاجر يعقد صفقة شراء لمواد إغاثية كانت للمشردين في المخيمات

عائلة تواري جسد ابنها القتيل في الحرب

شابة تكافح الغربة من اجل مستقبلها رغم الظروف القاسية التي تمر بها البلاد

الأف من المخيمات على حدود الدول المجاورة

مهربين يسرقون حقيبة احد المسافرين على الحدود

شاب يخاطر بنفسه في العودة لبلاده عن طريق اجازة عسكري دفع ثمنها غربة تسعة اعوام حتى يعود لبيته واهله

قطاع طريق يبنون حواجز بحجة ضبط الامن وهم في الحقيقة لصوص تشابه لباسهم مع لباس الشرطة

لصوص يسرقون منزل أيتام بعد نزوحهم منه بسبب القصف

عسكري يشعل سيجارة على أحد الحواجز يتنظر تسريحه الذي طال عشرة اعوام

نازح ينتظر من المنظمات سلّة غذائية حتى يؤمن الخبز لأولاده المرضى

أصوات مكانية الريّ بيتر التي تحولت لمولدة كهرباء تهدر خارجاً بصوت قوي

صوت سيارة الإسعاف الذي يُنذر بوقوع مصيبة وكارثة كبيرة

امرأة تطلب الطلاق من زوجها بعد الإفلاس في الحرب

ديك يصيح معلنا قدوم الفجر من بين طيات الظلام

يتبعه صوت ببور الكاز يهدر بصوت عالي لتدفئة خيمة في شتاء قارس

رائحة النايلون والبلاستيك التي تخرج من فوهة المدافئ لعدم وجود المازوت

رجل باع بلده من اجل بضع دولارات

إمام يصعد على المنبر لحدث الناس عن الصبر وهو يرتدي ساعة تكفي حق خبز لعائلة فقيرة مدّة شهر كامل

مريض يصارع المرض على فراشه

أصوات الطائرات الحربية والمروحية في سماء البلاد

صوت قذيفة تحول سكان القرية بين أحياء وأموات

أصوات صراخ من بعيد مُبشراً بوقوع المصيبة

كنت جالس مع عائلتي اعتقد بانني كنت في المرحلة الثانوية والتي يطلق عليها في بلدي سوريا الصف العاشر

اواخر عام ٢٠١٠ في مطلع ٢٠١١ على شاشات التلفاز خبر عاجل باللون الاحمر اندلاع احتجاج في تونس بعد إحراق أحد المواطنين نفسه بسبب سوء الأحوال المعيشية والتضييق السياسي والامني وعدم تمكنه من تأمين قوت عائلته

وبعدها بدأت احتجاجات سلمية ضخمة اجتاحت معظم الوطن العربي

وبما أن بلادي هي أحد البلدان العربية فإن رياح تلك الاحتجاجات سوف تصل إلينا قريباً

بدأت الحركات الاحتجاجية في جنوب البلد تهتف بالتغيير ولم يختلف الاحتجاج في بلدي عن بقية الدول العربية

حتى وقعت المصيبة فوق رؤوسنا جميعاً

بدأت قطعاً من الجيش تخرج من ثكناتها العسكرية بعتادها الثقيل وتتوجه إلى المدن والبلدات السورية

وتقع بعدها المصيبة الكبرى التي لم تذر شبراً في بلدي إلا وطالته

على سطح منزلنا بعد زوال الشمس بدأ الظلام يهبط متسارعاً ليحل الليل جالس مع أقربائي في سهرة للعائلة

لأول مرة أسمع شيء غريب صوت قوي جدا يخرج من احد الحواجز في القرية المجاورة يتبعه صوت صفير قوي جدا ويحدث الانفجار بعدها

صرخ أحدهم قذيفة لم افهم في البداية ما معنى قذيفة وربما لأنني لم اصل بعد لمرحلة الخدمة وفي حقيقة الامر انني لم أشاهد القصف إلا على شاشات التلفاز في غزو العراق وفلسطين من قبل اليهود والإحتلال

صوت قوي جداً يتبعه صوت الصفير نفسه لكنه اقرب من الاول وتقع القذيفة في منتصف القرية

صرخ احدهم قائلا نزلوا لتحت قذائف كانت الرعبة الاولى التي حدثت لنا وقال الاخر انتظر بعد خمس دقائق رح تجي قذيفة تانية

ما بعرف كيف شعر بإنو رح تنزل قذيفة ثانية وفعلا بعد خمس دقائق طلع صوت قوي كثير ونزلت القذيفة

على خزان الكهرباء قطعت فيه الكهرباء وتحول المكان لعتمه عتمه وخوف وقصف وقذائف هاي اول ليلة نعيشها بهيك رعب

مرت عدة دقائق بعد القذيفة الأخيرة وصار هدوء كامل بالقرية هون قال خلص هلق فينا نطلع لان ما بقى يقصفوا

طبعا الكل كان خائف من وقوع قذائف غير اللي وقعو ومضت الليلة الاولى مع خوف شديد

بساعات الفجر الاولى ذهبت والدتي إلى فرن القرية لجلب الخبز

دار الحديث بين الناس اللي واقفة طوابير حول القذائف اللي سقطت مبارح علينا ويا ترى رح ينزل اليوم قذائف متل ليلة مبارح قام قال احد الاشخاص مبارح ضربونا بالقذائف اليوم يمكن بالطيران قالها مازح وغير جاد مستهزأ بالناس اللي خايفة من ليلة مبارح

الساعة سبعة الصبح فيقو يا اولادي بدنا ننزح من هون لان سمعت بالفرن عم يقولوا مبارح ضربونا بالقذائف اليوم بالطيران قام اخي الكبير وقال مارح نروح لو بدهن يضربونا كان ضربونا من مبارح

رفعت سماعة التلفون الارضي واتصلت بأحد الأشخاص الي عنده سيارة تقلهن إلى منزل بيت خالتي مرحبا عم

اهلا تكرم خمس دقائق بكون عندكن خليهن يجهزوا الغراض طيب عم عم نستناك

وبعد ساعات قليلة اصوات طائرات مروحية في السماء وبعدها صوت صفير كان قوي كثير اقوى من صوت مبارح

وبعدها نفس الإنفجار اللي سمعنها بليلة مبارح بس كان اقوى لان حتى منزلنا تكسرت شبابيكه من شدة الضربة

خرجت مسرع من المنزل لأرى ما حدث وما هذا الانفجار صدر بعده صوت صريخ من احد المنازل قصف طيران انهزموا على الملاجئ برامل

براميل شو ما فهمت وبين الخوف والرعب والناس عم تركد يمين وشمال وقفت احد الأشخاص وسألته شو يعني براميل خبرني قام طلع عالسما وقال زتت زتت ليكو عم ينزل كانه نازل فوقنا وبلش تلقائياً يصيح يارب تحمينا يارب

ولحظ إصطدام البرميل بالأرض وكأنها هزة ارضية وصوت إنفجار قوي كثير

رجعت عالبيت قلت لأخي قصف طيران براميل قلي شو يعني براميل

(ح) بربك هلق ما وقت فلسفتك يالله نروح عشي ملجئ لحتى يخف القصف

وفعلا نزلنا على أحد الملاجئ كان في كثير اطفال صغار عم يصرخوا ويبكو وناس عاجزة والملاجئ ما فيه مكان لنوقف

طلع اخي هيك وقال عيب علينا شباب نضل بالمجلئ رح اطلع وما بصير غير اللي كاتبه ربنا

خلي الأطفال والنساء تدخل طلعوا لبرا

وقتها عنجد كان لازم واحد يقول هيك كلام بعض من الشباب سمع كلام أخي وطلع وبعض منهم ضلوا بمكانهن حتى وقف القصف

بعدها في ساعات قليلة توقف القصف وبلشت الناس تطلع من الملجأ ع اقرب قرية غير ساخنة خلينا نقول أو غير معرضة للقصف

اجتمعنا انا وشباب وقررنا البقاء في القرية خوفا من دخول اللصوص وسرقة المنازل كان همنا الوحيد بأن يرجعوا الناس ويلاقوا القرية على حالها

مسكت بإيدي سيجارة وطلعت بالشارع العام مقابل احد بياعين اللحمة

شفت مجموعة من الأشخاص مجتمعين حول احد الأبقار التي تصاوبت جراء القصف اللي حصل على منزل احد المدنيين

طبعا هون واحد يبدو عليه القائد لألهن قال منيح لحقنا نذبحها قبل ما تموت وهلق بنشويها للشباب تتغذى

وقفت هيك من بعيد عم طلع وقلت مصائب قوم عند قوم فوائد ياترى كانوا ناطرين هاللحظة

المهم كملت طريقي بإتجاه منزل احد الاقرباء وشفت مجموعة من الناس عم يصعدو بسيارات لتقلهن لأقرب قرية

رن جوالي مكالمة من والدتي عم تقول كيفكن ان شاءالله ما صار شي عليكن قلب الام وخوفها

المهم انا طمنت قلبها وقلتلا نحنا طلعنا بعد ما طلعتي وبالحقيقة كانت كزبة بيضة تصنعت أني أقولها حتى ابعد عنها الشك والخوف ولازم بعض الأحيان نتصنع كزبة بيضا من شان اشخاص يمكن الخبر الاكيد يسبب ألهن امراض كثيرة نحنا بالغنى عنها وما نكون سبب من الاسباب لوقوع هذا المرض

مرت عدة ساعات وانا بمنزل احد الاقرباء وكان هدوء كثير طبعا هالهدوء هذا مارح يستمر هيك حسيت انا

وفعلاً قبل المغرب بدقائق صوت انفجار قوي بس هالمرة ما سمعت اله صفير لأن القذيفة كانت بالقرب منا ما بتبعد عشرات الامتار

هرباً من الموت ويمكن من الخوف ويمكن من صوت القذيفة اللي هو اشد رعب اتجهنا على نفس الملجئ

طبعا الملاجئ عنا بالقرى هي عبارة عن مكان لتربية الاغنام والدجاج لاننا نسكن بقرى والقرى لا يسمح لهم التطاول في البناء لطبيعة الارض ربما المهم دخلنا عليه أنا وعدة اشخاص

كان معنا شخص قال كل ١٠ دقائق قذيفة يعني فينا نطلع من هالمكان ازا ركدنا بسرعة طبعا هون طلع صوت قذيفة تانية لحسن حظنا انها بعيدة شوي عنا مكان الملجئ وقررنا نطلع من المكان بعد ليلة كانت ابشع الليلات في القرية.....

#الحدث الثاني ....

بعد مرور عدّة ايام من القصف على القرية طبعا الكل كان يتوجه على منازل اقرباهن المتواجدين في قرى مجاورة ليقضي ليلة عندهن وبالنهار بيرجع عبيته لكن ضمن هالمصيبة اللي حلّت على سوريا الناس بدأت تفقد شيء من الإنسانية ومن المحبة ومن الضمير حتى الاخ صار يتضايق من وجود اخوه في المنزل وبيكررو عبارة كنت أسمعها كثير

ونحنا يمكن ننزح كمان لان البل وصل لدقنا ما بعرف شو هي العبارة وشوا مغزاها بس بعرف انو هالحرب عم تجردنا من الإنسانية ومن المحبة والنخوة اللي زرعها فينا أبائنا وأجدادنا

وصلنا لمرحلة قال فيها الاخ لاخوه عسكري دبر راسك شقد كنت أكره اسمع هالكلمة خصوصا إن كان مستوى العائلة متندي فهي رح تكون تحت رحمة هالشخص هذا للابد

والأصعب من هيك كله انك بتسمع هالكلام وبتسكت لان ما في مكان تروح عليه

وكانت العبارة المتكررة وين بدنا نروح إذا طلعنا بيقولو أنهزم وإذا ضلينا بنموت تحت القصف وهيك بتستمر المعاناة الحقيقة

بعد يومين بالتحديد قررنا العودة للمنزل وجمع ما تبقى من الاثاث للانتقال لقرية او بلدة غير ساخنة وغير معرضة للقصف وبعيدا عن الاشتباكات بين المعارضة والنظام

الساعة السادسة صباحا كنا متواجدين بمنزل احد الاقرباء قررنا الذهاب الى منزلنا قبل ان تبدا الطائرات بالإقلاع من المطارات وفعلاً اتجهنا لمنزلي وقمنا بأخذ قليل من امتعة المنزل مقررين الذهاب لمدينة ج ش في الريف الإدلبي وركبنا بالسيارة واتخذنا طرق فرعية لنبتعد عن الحواجز لكن كان لابد من أن نمرق على أحد حواجز متواجدين عدة عساكر المهم طلبوا الهويات

وقام واحد منن قال سيدي في سيارة عائلة نازحة بنسمحلها تفوت ولا برنجعها من مكانها طبعا هون صارت عنا مصيبة وين بدنا نرجع عالموت ولا كيف المهم خبره وقله نزلوها لعندي يا ابني

نزلنا لتحت بالقرب من المحرس قام قال شوفيها السيارة ردت عليه ووالدتي نحنا نازحين من القرية وأجينا لهون

المهم عدينا ودخلنا على المدينة وصلنا للبيت كان طابق ثاني باحد الحارات الضيقة ومكون من غرفة واحدة مع مطبخ صغير داخله الحمام طبعا كونا نحنا سكان قرى يختلف طبع الجو عنا وعندهن

فمثلاً بالقرية انا بعرف كل سكانها أو تقريبا لنقول معظم اهالي القرية أما من عادات المدينة أنه الجار ما بيعرف الجار

ومرت عدة ايام انتقلت فيها للثانوية لكمل مرحلتي اللي كانت رح تخلص

بيوم من الأيام دخلت الصف وجلست باخر مقعد كوني شخص غريب وخلينا نقول غر يعني لسا ما بعرف طبيعة نظام المدرسة ولا بعرف المعلمين كلهن وجوه غريبة حتى الطلاب

بتذكر منيح دخل علينا استاذ الفلسفة وألقى تحية السلام وبدأ يتعرف على أسمائنا كونه اول لقى حصل بينا

ومرت عدّة أيام كنت وقتها لمتزم بالثانوية لحتى بدا الوضع الامني يتزحزح قوات المعارضة قصف بقناني المعبئة بمواد شدسة الإنفجار مخبز المدنية الالي ادى لحريق كبير جدا وحدث اعطال كثيرة داخل الفرن وتوقف عن إنتاج الخبز

ما بعرف بالحقيقة ليش متعمدين يقصفو الأفران لان بحقيقة الامر مافي ولا اي نقطة عسكرية او اي جهاز امني تابعة للنظام بهاي المنطقة وبعد ساعات قليلة صار الناس تبحث عن خبز وما تلاقي فالفرن اللي بيوزع لكافة انحاء المدينة توقف عن العمل وبما اننا نعيش بحياة إذاً لكل شيء له ضد كما ضد الجوع الشبع وضد الفقر الغنى وضد الحرب السلام

هناك اطراف متضادّة يسعى كل واحد لفرض سيطرته على أجزاء من البلد لكن هذه السيطرة تاتي بنتائج غير متوقعة ومأساوية على الجميع

بعد مرور أيام على توقف عمل الفرن كانت تنقسم العائلات كل فرد من العائلة بيتوجه لفرن حتى نستطيع تأمين ربطة خبز بعد وقوف طيلة الليل وأحيانا كل النهار واحيانا بترجع أفراد العائلة كلهن بدون خبز لان كمية الخبز اللي بتتوزع محدودة

ضاقت الاحوال وقررنا الرجوع للقرية بعد ما اصحبت هادية نوع ما لكن القصف الصاروخي بالليل واحيانا بيستفقدونا بكم قذيفة بالنهار

كانت شتوية قاسية كثير وقبل ما نرجع بايام زالت الشمس وهبط الظلام ولحد هاي الساعة ما اجا اخي

اعتلى على وجهنا الرعب والخوف بعد المغرب ما بيضل إلا العساكر منتشرة بكل زقاقات المدينة يا ترى شو صار معه

فتحت هاتفي المحمول واتصلت بصديقه سالت حضرتك وين واخي لسا لهلق ما اجا الوالدة انشغل بالها

قال انا طلعت وهو بعده بالمشفى

هون انخطف لوني وتغير للاصفر من الرعبة مشفى شو وليش.

قال لا تخاف اجا الأمن لعنا وما كان معه هوية اخدوه لبين ما يتاكدو من شخصيته

طبعا الرعب كان اقوى وكان الخوف أكثر لو انه امريض افضل من انه يكون عند الأمن

طبعا في كافة البلاد العربية الكل بيتمنى يموت او يصيبه شي قبل ما يدخل لاحد فروع الامن

لان في عبارة بنسمعها من الكل الداخل مفقود والطالع مولود ان طلع حي أصلاً

تمالكت قواي وقلتله طيب اخي ليش ما اتصلت فينا وخبرتنا

طبعا اعتذر وبين سبب مقنع بانو ما عنده رقم من ارقامنا وقال اخي المعلم قال بدو يتواصل معكن

شكرت الشخص واعتذرت منه على نبرة صوتي اللي كانت مبشرة بقتال وقلتلوا الله يعطيك العافية

المهم ا رجع اخي وقال ماصار شي بس شوية اسئلة بسيطة وفكروني مطلوب

مطلوب لمين ومن شان شو بدأت الافكار تنهش من رأسي يا ترى رح نكون شي يوم مطلوبين وان صح التعبير شو رح يكون نهايتنا وعلى يد مين

ساعات قليلة انقطعت الكهربا طبعا كان جارنا الي تحت منزلنا خط كهربته من الحارة الثانية وقت بتنقطع الكهربا على خطهن بيناديلي حطله الشريط من عنا ومع انه الفاتورة كبيرة بتجي بس ما بحسن قلو نصف ساعة تقريبا ورجعت الكهربا ولمحاسن الصدف اليوم دق الباب علينا

المهم قال جار ممكن ادخل اشوف ابرة الدش لان ما عم تجيب إشارة قلتلو تفضل جار

سمع على التلفزيون عنا احد القنوات المعارضة فقال شو جار كانك بتسمع منهن

قلتلو جار الكهربا كانت مطفية وشغلو التلفزيون فطلع عهيك محطة لا إردادية المهم طلع كمل شغله عالسطح وبعدها

نزل قال هدول القنوات كانوا سبب بخراب البلد ومتل مالك شايف

نظرت فيه نظرة غريبة وقلتله بنبرة صوت عالية جار انت اجيت لتصلح إبرة الدش ولا تعطيني مواعظ مين اللي خرب ومين اللي عمر فسكت وما نطق بحرف

كم تمنيت وقتها أن يتكلم او ينطق بشيء لكن ترسمت على وجهه ملامح الشخص الحاقد الذي لو إستطاع ان يقتلع حجنرتي لفعل غادر مسرعا من المنزل بتجاه منزلهم ولم أرى وجهه مجددا حتى عند إنقطاع التيار الكهربائي لم يناديني لان اضع له كبل الكهرباء

اليوم الثاني كان يوم جمعة قررت الذهاب لصلاة الجمعة في المسجد وزارنا أحد اقربائي فأصطحبته معي لصلاة الجمعة

طبعا دخلنا الجامع كان كبير كثير والناس كلها ملتزمة بصفوفها وبعد انقضاء الصلاة كنت خائف من وقوع كارثة

بعد انتفاض العديد من المدن وكانت هاي المدينة من المدن اللي انتفضت بالبداية وتم اغلاق مداخلها ومخارجها من قبل الجيش طلعت مع الشب متجهين عالمنزل المهم عزاوية المنزل سيارة بيضا وكان واقف حدها عدد من الاشخاص مسلحين بدون لباس عسكري نعرف شو هنن نادلنا احدهم وقال الهويات

طبعا نحنا بنبتعد عن باب المنزل عدة امتار فقلت انا طالعين عالبيت هذا بيتنا

المهم تركنا نروح وما حكا شي فسالت الشخص شو هدول قال هدول أمن الدولة

وصلنا البيت ودار النقاش حول الشي اللي صار معنا فقلت هاي اخر صلاة جمعة رح صلي بالبيت يمكن من الخوف ويمكن لأن ازداد الوضع سوء .....

وبعد مرور جمعة واحدة على قصف الفرن من قبل المعارضة قررنا الرجوع عالقرية ونعيش تحت القصف من النظام افضل من البقاء بدون خبز والوضع بالقرية كان مأساوي لدرجة كبيرة

الأفران مغلقة بشكل كامل لعدم توفر المازوت وانقطاع الطريق بسبب الاشتباكات ونحنا غرباء عن المدينة وعن سكانها

يعني بالمختصر المفيد محدا رح ينظر إلنا بنظرة رحمة بالمكان اللي نحنا فيه قررنا العودة على القرية بعد نزوح مدّة قصيرة

الكارثة الكبرى كانت بالقرية لا افران خبز ولاكهرباء يعني رجعنا لزمن ببور الكاز والبلورة والشمع وفوق كل هذا الوضع المأساوي قصف عنيف بكافة الاسلحة لكن متوفر التنور يعني فينا نأمن لقمة العيش مع الموت المنتشر بكل شارع من شوارع القرية

مضت اليوم الاول هادئ يبدو بأن القصف اليوم على قرى أخرى وبحدود الساعة العاشرة بدأت القذائف تتساقط على القرية أصوات مخيفة جدا كان العدد كبير حتى ماعد نحسن نحصي عدد القذائف اللي نزلت

قررنا بعد ايام من الصبر وتحمل اصوات القذائف بأن نطلع غير منطقة ويمكن كانت وجهتنا غير معروفة حتى وصلنا للحدود السورية التركية وبدأت المعاناة الحقيقة

طبعا كان عدد الخيم قليل جدا وكان لازمك جزمة حتى تحسن تمشي بهيك مكان غير مؤهل للسكن

مكثنا الليلة الاولى اللي كانت اقسى من ليلتنا السابقة تحت قصف عنيف بالقرية وعند بزوغ الشمس قررنا نبني الخيم

وبدأت رحلة النزوح كان مخيم فاقد لكل مقومات الحياة بكافة أشكالها فلا دورات مياه ولا حمامات ولا نظافة ولا أي شي

خيم مبنية على ارض زفت ومرت عدة اشهر ونحنا نحاول التأقلم مع الحياة داخل المخيم لكن بدون جدوى من ذلك

وبأحد الأيام عند ساعات العصر تقريباً صوت طائرة حربية يعني هذا الصوت بعده أكيد صوت قصف متل ما تعودنا

لكن كيف طائرة حربية بتقصف على حدود مجاورة مع دولة اخرى

المهم اغارت الطائرات الحربية بالقرب من المخيم وبدأت الناس تصرخ والدم ملئ المكان كان استهدافها لمقرات المعارضة وراح ابرياء كثير بهذا القصف

بحثت عن اهلي ما شفت حدا منهن بدات الركد بين الخيم بكلي بشوف امي اختي اخي لكن مافي فائدة

نزلت بتجاه مكان القصف يا ترى شو صار

كانت أشلاء الضحايا بكل مكان وكانت القذائف العنقودية حارقة سيارات كثيرة

وبالأخير وجدتهن بجانب اخد المغارات قلت الحمد لله انهن بخير

قررنا الخروج من المخيم بتجاه منطقة أقل سخونة وربما موقع المخيم كان مهم بالنسبة لقوات المعارضة وقوات النظام

ومرت شهور وأيام طويلة بقمة جبيلة عالية ما بيسكنها إلا الافاعي والعقارب وبعدها بأيام بدأت رحلتي للمجهول وبدأ المسن يتشكل داخل روحي الهشة الضعيفة

بعدها بفترة من الزمن لصعوبة العيش والمكان بدون كهرباء او ماء قررنا الانتقال لمكان اخر

نزوح يعقبه نزوح يتبعه نزوح للمجهول دائما في بلد يُقتل ويدمر على ايدي ابنائه

كان لابد من الخروج عن رواية المسن لسرد تفاصيل هي الاهم في تشكل حقيقته داخل عقلي

رغم أن الاحداث التي جرت في البلاد تشير إلى نتائج متوقعة ومخيبة للأمال ولا شك بأن الفساد والفقر وسوء الأحوال الاقتصادية في البلاد هو من حول الشعب وقسمه إلى فئتين إن صح التعبير فئة تعيش الفقر خوفاً من أن تقع في شبهات الحرام وفئة تعيش الحرام خوفاً من الوقوع في الفقر وكلا الفئتين يظلم نفسه لأن يتعايش مع حرب فرضت عليه ولا اتطرق بالحديث عن الصراعات المسلحة التي كانت سبب في تدمير البلاد كي لا تتحول روايتي إلى نقد بناء يتعثر القارئ بها وينحاز نحو الفئة التي يتبع لها

..

انقضت فترة لا بأس بها وأنا أحاور نفسي في ذلك المساء في منزلي المهجور قبل الدخول ولقاء ذلك المسن وقتها...

#قذائف_الموت

منزلي المدمر جدرانُه المَائلة يحاولُ الانقضاضَ على نَفسِه كلَّما جاءت قذيفة

إن تلك القذيفة هي عاهرة كُلما ضربت على مؤخرتها تنطلق بحرارة هائلة لتقتل في برودتها كل من يقف في طريقها تحول المنازل إلى كوم حجارة وتحول الإنسان إلى أشلاء متناثرة

ولا اعلم لما كانت القذائف تتساقط على رؤوسنا وما هو ذنبنا الذي اقترفناه طيلة تلك السنوات تتبادر إلى ذهني كثير من الأجوبة على أسئلة هي غامضة جداً ولكن ما الفائدة من كل هذا

كنت في هذا المساء ١٢ أكتوبر ٢٠١٨ انتظر قدوم الليل حتى أدخل الى غرفتي مجددا لقد أنستني الحرب وأهوالها صراعي مع ذلك المسن ربما.....

وربما الامور تسوء بلا انقطاع وفي كل يوم كان الفارق بينه وبين الذي قلبه شيء بسيط جدا لذلك يغمض المرء عينه وهو يردد تلك العبارات التي يوجد فيها بصيص من الأمل لربما غدا يأتي افضل وتزول تلك الغيمة السوداء عن سماء بلادي .....

#غفلة_منبه

(٥٣)

مددت يدي مجددا ابحث عن ذلك الهاتف لأغلق تلك النغمات المزعجة في صباح اليوم الثاني بعد عمل شاق مع المُسن يشار

صوت يأتي من بؤرة بعيدة يتردد على مسامعي

يقول لي بلهجتنا السورية فيق فيق تأخرنا وانت عم تهلوس من ساعة شو كنت عم تحكي نص كلامك كان عن بيتنا

فتحت تلك العيون الذابلة التي رسمت تحتها بحر من السواد لقلة النوم ومن شدّة التعب أنظر إلى وجه أخي

صباح الخير يبدو عليه النشاط ينظر من نافذة الغرفة المطلة على الشارع يشرب كأس من النسكافيه وفي يده سيكارة كانت يخرج منها دخان ابيض ظننت بأنني اعيش في لحظة قصف على القرية

صباح الخير استاذ كل يوم بدك تأخرنا المسن يشار ناطرنا قوم بدل تيابك لنروح انا سابقك

نظرت إلى أخي بنظرة غريبة وقلت له سبقني لاحقك

لعد دقائق قليلة صباح الخير أيها المسن المعتوه هكذا قالت نفسي لكن نطق لساني شيء اخر صباح الخير ايها المسن يشار كيف الحال

اهلا بخير هيا بنا لنشرب كاس من الشاي ثم نتوجه إلى مكان العمل

ربما نقصد تلك القمة الجبيلة مجددا بعد ان وضعنا عدّة إشارات

وانطلقنا بتجاه تلك القمة الجبيلة مجدداً.....

(٥٤)

#النوم_القهري

بعد عمل شاق متعب تأتي إلى فراشك تلاحقك الأفكار ويستضيف عقلك الأرق والقلق لتبدأ في محاولة فاشلة في جذب النوم إلى جسدك

اتذكر جيداً جنود ذلك المسن حين تركتهم خلفي في منزلي المهجور حين استضافني الندم في أحد الليالي أتذكر كم كانت ليلة قاسية بصحبة ذلك الجندي واعلم جيدا عندما ينتابني شعور الخوف بأن المسن قد بدأ بالعودة مجددا إلى جسدي لكن في هذه الليلة الثانية بعد نهار متعب وشاق لماذا سيطر القلق على أجزاء من جسدي

هل عاد المسن مجددا يحمل معه القلق ام ماذا

محاولا النوم اجبر نفسي على مصارعة القلق لأتخلص من هذا الجندي لكن لا فائدة

إن اصعب ما يمر على الإنسان ان يعيش حالة النوم القهري قاهراً نفسك وروحك مجبرها على النوم كي لا تتصادم مع طيف المسن مجددا ولم يعد لدي الرغبة في لقائه ابدا وأنا اصارع القلق غلبني النعاس مجدداً دون رؤية ذلك المسن في ليلة زارني فيها النوم القهري مسيطراً على جسدي بأكمله .....

رواية المُسن

(٥٥)

#القهوة_السادّة

بعد أن حلّ على جسدي النوم القهري رحت أسبح كالطيف في أحلام كثيرة لكن ذلك الحلم ما زال يراودني.

أتذكر جيداً قبل خروجي من المنزل بعد تلك الليالي برفقة المسن وشجرة الرمان والشموع بأنني تحدث مع اختي رحت أراجع ذكريات هي الأجمل

صباح ١٨ أكتوبر ٢٠١٨

صباح الخير يا أخي عملتلك فنجان قهوة ما بدك تفيق صوتها يأتي من بؤرة الاحلام كان صوتاً جميلاً رقيقاً يحمل معه حنان الاخت ورقتها أهلا بوردتنا الجميلة كانت تلك الوردة هي وحيدة بيننا وهي اميرة على عرش أخوتها إن صحّ التعبير

صباح الخير يا وردتنا جهزتي القهوة

اي طبعاً ليكها بس بدون سكر هالمرة رح تشربها سادّة جربها مالك خسران شي بعرف أنك ما بتحب القهوة يمكن لأنها حلوة

خود هالفنجان وتعطيني رأيك بقهوتي القهوة السادّة

تبسمت في وجهها ضاحكاً طيب رح نجربها كانت ألذ قهوة تذوقتها يوما ما في تلك القمة الجبيلة وكانت تضع بجانب فنجان القهوة السادة قطع من الشكولاتا وأحياناً قطع من البسكويت وكانت اغنية فيروز الصباحية تعيدنا إلى منزلنا وهي تقول يا جبل البعيد خلفك حبايبنا كان صباحا جميلاً يخلو من هلوسات المسن

وانا في ذلك النوم القهري صوت من بعيد يأتي فيق يا اخي فيق

شقد بتحب النوم انت كأنه صوت اخي

عندما فتحت تلك العيون أتخيل حق أنني أحتسي فنجان القهوة السادّة كما عودتني أن أشربه اختي كانت رائحة القهوة تجذبني بشدّة نظرت حولي جاء اخي يحمل معه فنجانين قهوة قال لي يالله نشرب قهوتنا ونطلع

لا طعم ولا لذّة في القهوة في هذه البلاد

اه كم اشتاق لتلك القهوة الصباحية بقرب عائلتي لكن هو القدر يفرحنا وقدر يُشقينا وربما نحن من الاشقياء.....

(٥٦)

#شمعة_الحب

أنني مُدين بحياتي لتلك الشمعة الاخيرة التي انارت جزءاً بسيط من عزلة سوداء كدت اختنق داخلها حين اجتمعت مع طيف المسن في منزلي المهجور لقد أنارت لي طريقاً كنت احسبه من شدّة الظلمة لن يُنيرَّ ابدا

لكن ماذا لو كانت تلك الفتاة هي من انارت لي شموعا كثيرة كنت اتعمد إطفائها خوفا من ذلك المسن. المعتوه

ما أجمله من شعور أن يأتي أحدهم ويشعل في طريقك المظلم شمعات كثيرة تُنير لك طريقا سهلاً للعبور إلى قلبه بل ربما نحو الحب الذي نشأ معي منذ نعومة اظافري كد ذلك الحب الاول الذي خفق له قلبي فأنار به أماكن لم اعلم وجودها

من بين طيات الرسائل رسالة تحمل في طياتها الكثير تحمل حروف اسمها لتنير لنا شمعة الحب الابدية هكذا قال قلبي حين تذكرت اسمها تلك الفتاة قصيرة القامة صاحبة الوجه الجميل ذات العيون الساحرة .....

(٥٧)

#لولا_النسيان

بعد يوم شاق في قمة جبلية عالية كانت الشمس تسطع على رؤوسنا مباشرة ونشعر بالتعب الشديد استلقينا تحت شجرة في اسفل ذلك الجبل ننتظر وجبة الغداء رحت مستلقيا على ضهري انظر إلى السماء فغلبني النعاس مسافراً من جديد في رحلتي مع ذلك المسن وأصدقائه وربما جنوده كالندم والحسرة والالم والارق لكن هذه المرة ضيف جديد يحمله ذلك المسن إلى جسدي

أه أشعر بألم كبير جدا في جسدي هل هو من العمل اليوم أم أنني ما زلت أصارع طيف هذا المسن

إنني حقاً متعب كثيراً لقد مشيت كثيرا اليوم من قمة الجبل إلى أسفله وهكذا عدة مرات حتى اصبحت أركد مسرعا

نعم لقد ركدت كثيراً ركدت من كل شيء ومن اللاشيء هارباً من طيف ذلك المسن لأهرب من هذا الخوف الذي صنع في داخلي طيلة تلك السنوات

ركدت من اجل تلك الاحلام التي اصبحت فاشلة الان لقد ركدت من اجلها طيلة تلك السنوات ضاعت وتلاشت للابد أمامي طريق ضبابي مجهول يقف في نهايته ذلك المسن ينتظر قدومي

نعم تلك الاحلام سرقها مني المسن في تلك الليالي في اخر لقاء كان بيننا ورحل تلك الاحلام وتلاشت للمجهول كما تلاشى ذلك المسن

إنني أتذكر كل حديثي مع ذلك المسن لكن انسى قليلا منه

إنه النسيان لولا النسيان لتكاثرت الأفكار المتشائمة داخل العقل حتى درجة الانفجار وربما الجنون كانت روحي مستعدة وقد أعلنت جاهزية كاملة لتستقبل الحقيقة التي أهرب منها دائماً كما كنت اهرب من طيف ذلك المسن

نعم أنني أنام لأهرب من الواقع والواقع يطاردنا بالأحلام اهي الحقيقة أم كابوس ربما هذا التناقض اهلكني قيدني كأنني في سجن لن اخرج منه ابداً.....

#غفوة_الظهيرة....

(٥٨)

قطرات العرق تتساقط على جبهتي اشعر باقتراب شيء مني نعم لقد عاد. مجدداً أنه المسن يجب علي الاستعداد

لقد عاد نعم ها هو لقد اقترب مني كثيراً كشبح خيم فوق راسي كغيمة سوداء غيمت على بلد وبدأت في هطول القذائف والصواريخ تحرق كل شيء امامها كاد قلبي ينفطر من شدّة الخوف

صرخت قائلا أهلا أيها المسن بكلمات توحي بالخوف

اهلا بك ايها المسن اتعلم انني افتقد طيفك من زمن

وانني لخبرك بالأشواق أيها المسن إنني دائما احسن الظن بمن حولي لكن معظمهم يعزفون سمفونيات الخيانة بإتقان

كما يخون الأبن أباه عندما يسرق من منزلهم ليطعم الغرباء

لماذا خانتني قدامي عند لقائك في تلك الليلة اخبرني أيها المسن

لكنني لم اخون نفسي ابداً لقد خانتني الأيام وخدشت قلبي الأحداث وضيعت سنين عمري الحرب وفقد من احب

نطق المسن قائلا توقف عن الثرثرة أيها المعتوه توقف عن الهلوسة

لقد اضعت من تحب إذن وكيف ذلك أنني اعمل ما يدور في مخيلتك ايها الاحمق افتظنني لا اعلم عن امرها تلك التي جلست بقربها يوم ما عندما كنت تدرس انني أعلم بأمرها لكن اتركها للأيام لتجلبها لك وربما للقدر والنصيب

لقد أخبرتك منذ أول لقاء حصل بيننا أظنك قد نسيته حقاً ...

لا لا لا ايها المسن انني اتذكر جيدا تلك الكلمات لانها تزورني يومياً لكن بدون طيفك

وكيف لي أن. أنساها في تلك المحطة في ذلك الموقف لكنني لا أعلم إن كانت حقيقة ام مجرد وهم عشت به ويا ترى كيف يكون الوهم

هل بإمكاننا اصطناع أشياء وهمية لإسعادنا إن لم نستطيع أن نلتمسها في الواقع ؟؟؟

إذن أنت لست وهما ايها المسن ربما أضغاث احلام مرت بي يوم ما

(٥٩)

#المستقبل_الضائع

إنني متأسف جداً

إلى مستقبلي الضائع أنا أسف أعتذر من مكاني هذا لأنني لم اصل إليك متأسف على الأشياء التي كان بإمكاننا أن نقوم بها سويتاً ولم أفعلها أسف لأن جغرافيا الأرض تجعلني اعتذر من مكاني هذا ولم تمنحني فرصة الوصول إليك أسف لان الحرب تنقص كل شيء وتدمره أسف جداً

لكنني أهديك هذه الأبيات للمتنبي قائلاً:

كأن نفسك لا ترضاك صاحبها إلا وأنت على المفضال مفضال

ولا تعدك صوانا لمهجتها إلا وانت لها في الروع بذال

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

نعم ايها المسن إنّ المشقة هي من اضاعت مني ذلك المستقبل وكيف يمكننا البحث عن مستقبل في وطن سكنه الموت في كل مكان بين أصوات سمفونية المدفعية والصواريخ تمتلئ راحة الموت التي إعتاد ان يتنفسها كل من يحمل الجنسية السورية

أحدهم همس في أذني فيق

فتحت عيني على صوت اخي تحت تلك الشجرة في اسفل الجبل

حينها أيقنت ان ذلك المسن مازال حلماً يراودني حين يغلبني النعاس

(٦٠)

#تنام_لتراه

اما زال يراودك ذلك الحلم كلما غلب جسدك النعاس تذهب بك الأحلام نحو ذلك المسن ولا أعلم إن كان المسن يذهب بك نحو تلك الأحلام

بدأ الضوء ينحسر وكأن الليل أرسل جنوده ليغزو النهار في معركة الحياة وربما في معركتي مع ذلك المسن

فتحت عيوني على صوت اخي بعد قيلولة الظهيرة في ذلك الجبل

وكان بقربي المسن يشار ينظر إلى ساعته هل حان موعد العمل مجدداً نظرت إلى أخي وقد ترسمت على وجهه ابتسامة أعادت تلك الابتسامة تشكيل ملامحي وملامح كل شيء حولي

لكن لماذا عاد اليوم لقد عاد المسن مجددا في ساعات الظهيرة في قيلولة كادت أن تسرق مني أنفاسي ليجعلني جسداً بلا روح فقد غادرت روحي إلى عزلتها الاولى منذ لقاء وطيف المسن

حاولت مراراً وتكراراً أن أتقبل ما يجري حولي لكن لا جدوى من ذلك ابدا فقد زارني طيفه في هذه الدقائق مبشراً بمعركة كبيرة قادمة بيننا ....

مرت ساعات على هذه القيلولة منهمك في العمل حتى غروب الشمس فعادت بنا أقدامنا إلى منزلي في تلك البناية ....

#مصير_مجهول

(٦١)

كسفينة في منتصف البحر ظهر أمامها جبل فجأة ينظر قبطانها حائرا هل يستطيع العودة أم الالتفاف بسفينته من حول هذا الجبل أم أن السفينة اقتربت كثيرا وأصبح كل من على متنها مصيرهم مجهول

نعم مصير مجهول ومستقبل مجهول حتى أحلامنا التي نسعى إليها تبنى على المجهول ومجهول يتبعه مجهول حتى تتحول الحياة كلها إلى مجهولة

أتمنى أن يقتنع ذلك المسن ، بأنني لا أستطيع العودة إلى الماضي.. ولا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، وأن يكفّ عن رسم تلك الخرافات في مخيلتي التي لم تحدث ولَم يعد بإمكانها أن تحدث ، حتى وإن كانت تزعجني ، لكنها تقلقني عندما تنتهي إلى لا شيء ، أتمنى أن يوقن ذلك المسن المعتوه في قلبي، أن الزمن يسير باتجاه واحد ولا يمكننا العودة للوراء ولا يمكننا تحديد المصير الذي سوف يأتي لكل واحد منا يوم ما.....

(٦٣)

#عودة_المسن

حاولت أن أخد نفسا عميقا لربما يرحل ذلك المسن

لكنه أبى إلا أن يشق طريقه نحو روحي مجدداً

ظهر أمامي وجه عابس متألما غاضبا قد أمتلأ وجهه أثار الحقد والألم جف حلقي ارتعشت يداي بدأت حبات العرق تتساقط على جبيني لم أتحمل بدأت بالاختناق وأنا أحاول مقاومته مجدداً

لكن لا جدوى لقد عاد الأن

ربما أشعر الان بالخوف ويتعصر قلبي الندم لكن أتذكر جيدا أخر لقاء حصل بيننا منذ عدة شهور صارعته قديماً وغلبته ما بين حلم ويقظة لكنه في يوم من الأيام كاد يقضي علي دون المساس بجسدي فالضربة القاتلة في الروح منذ أن بدأ ذلك المسن بناء مملكته في جسدي لجلس على عرشها وكأنه كتله سرطانية سوف تقتل الجسد بأكمله

يرتدي ذلك المسن قبعة بيضاء ويبدو عليه الهرم وكأنه لا يستطيع الحديث

نظرت إليه نظرات قوية تريد ان تقتلع طيفه من ذاكرتي للأبد

بدأ الاقتراب وألقى علي السلام في تحية كانت الأولى بعد عدة شهور بيننا في أخر تحية قالها لي في تلك الليالي الثلاثة مع الشموع وشجرة الرمان في منزلي.....

(٦٤)

#موت_المسن

لماذا تصنعت النوم كان جسدي عاجز عن الحركة وعاجز عن القيام بأي ردة فعل تجاه المسن لكن إن بقيت في هذه الوضيعة حتما سوف يتمكن مني مجددا وربما يقتلني كنت في حالة اللاوعي لما يجري حولي كنت بحاجة أن أدفن نفسي في أي زاوية فأنا أشعر بالخوف الشديد والضياع وبدأت روحي تشعر بالذبول

كل ما في يؤلمني من أول مرة دخل إلى جسدي وأحلته كاملاً

ربما أردت أن أستمر في هذا الخيال وربما ذلك الحلم لكن حتما سوف يأتي بالخيبة ويذكرني في الماضي الذي سلب مني خلال تلك السنوات

كنت اريد معاقبته بحرمانه مني بإهمالي واشمئزازي لكن اكتفيت بإغماض عيني وفتحهما بصعوبة كبيرة

لكن عقلي يزداد تسائلا يا ترى ماذا يريد مني

لم أتوقع رؤيته مجددا بعد تلك الليالي في منزلنا المهجور وكما ظهر لي فجأة سوف يذهي فجأة مرة أخرى

تمالكت أنفاسي أخذت نفسا عميقا انهالت قبضتي دون وعي مني على رقبته بدأ ترتسم على وجه علامة الموت او انقطاع النفس فقد تحول لون بشرته للأزرق الداكن لقد بدأ الاختناق وأنا انظر اليه بعيوني التي أمتلأ دموع حارة أختفى من أمامي وضاعت ملامحه وتفاصيل وجهه لقد أعلنت انتصاري على شبح ذلك المسن

لقد مات طيفه ورحل للأبد هذه المرة

مضت ساعات تلك الليلة عصيبة وطويلة كنت أريد لهذا الوقت أن يتلاشى وأسارع في إطلاق هتافات الفرح انتصارا على ذلك المسن

شيء من تأنيب الضمير أحاط بي من الجهات الأربعة وأخذ يضيق الخناق حولي بصلابة

كيف فعلتها كيف قتلت طيف ذلك المسن

ولفظت اخر كلماتي قبل أن يغلبني النعاس وداعا لهلوسات ذلك المسن المعتوه ....

...

(٦٥)

#طقوس_العزاء

مرّت الليلة الأولى بعد وفاة ذلك المسن كانت ليلة هي الأبشع مع صراع طويل الأمد إمتد منذ سنوات عدّة وكان لقائنا الاخير في منزلي المجهور وحديث الشمعات وشجرة الرمان هو الحديث الأصعب الذي تحدث روحي وقتها في عالمها ربما عن أشياء لن يدركها العقل الواعي وربما هي مخزنة في العقل الباطن

في الليلة الثانية من وفاته أحضرت عدد كبير من الشموع وأحضرت قليل من ثمار الرمان واطفئت إنارة الغرفة ليبدأ طقوس العزاء مع ذلك المسن ثلاث ليالً جديدة تختلف كثيراً عن تلك الليالي التي قضيتها في منزلي المهجور ففي هذه اللحظات أنا من أحضر الشموع والرمان لابد انتقام جديد وربما لتبدأ بيننا ثلاث ليال أختم فيها رواية المسن وطيف للأبد

اشعلت الشموع وأحضرت اطباق كثيرة وضعت بها الرمان وعزمت على بدء العزاء وحتى إن ظهر لذلك المسن أحفاد يريدون الانتقام فأنني سأحضر لهم وجبة غداء تُنسيهم ذلك المسن في يوم ما

بدأت طقوس العزاء في هذه الرواية مع انها تروي لكم عن شاب كان في حلم طويل جداً يصارع به مسن لديه من القوة لقتل ألاااف من الشباب لكن لم يستطيع قتل ذلك الشاب حين جائه بشموع ثلاثة في منزل مهجور وبعدها تحول إلى شجرة رمان وفي بعض الأحيان كان يأتي وكأنه أدوات المطبخ في منزله

لقد بدأت هذه الليلة لكن ليلة خالية مما يسمى المسن للأبد

لكنني أشعر بان ذلك المسن بأنه بات جزء من روحي وإن صوته هو الصوت المشتهى لروحي مع أنه يجلب الحزن دائما ....

مضت الليلة الأولى من وفاة ذلك المُسن وانا أنظر للشموع وللرمان وكأنني أنتقم من ثلاث ليالً عشتها وحيداً مع شبح المسن في منزلي المهجور

إنني أحتقن ألم من ذلك المسن

نظرت الى الشموع وضحكت متبسماً لم يعد هناك مسن ليأمر إحداكن في الحديث معي اما الرمان فقد تناولته بشراسة كبيرة رحت اقطعها تقطيع بأسناني وكأنني أسد اصطاد غزال بعد اسبوع من معدة خالية انتفضت إلى الشموع سوف اقطعكي إرباً وأجعل من مجسماتك البيضاء سائلاً لزج وأصنعه منه شمعة كبيرة كالقلب وألونها باللون الاحمر وأتركها للذكرى هكذا نطقت جوارحي وقتها رحت مستلقيا على وسداتي حتى غلبني النعاس خالداً في نوم عميق هو الأجمل .. .

عشت في مخيم خلا من كل المشاعر إلا مشاعر الألم والحزن الكل يتألم أو ربما في حقيقة الأمر يدعون الألم ويتعايشون معه كأنهم لن يخرجوا منه إلا جثث تُحمل على الأكتاف إلى المقابر وربما إلى إحدى المقبرتين إما الزهراء التي تقع جنوب قريتنا أو إلى المقبرة الغربية التي تقع في منتصف القرية

المخيم الكل فيه ضائع وربما أنا مثلهم تماما وأي محاولة للبحث عن فرار من خلف تلك الخيام تنتهي بالفشل

وأتذكر كلمات أخي حينما قال سقف خيمتي من حديد ركن خيمتي حجر لتعصفي أيتها الرياح لتهطل أيها المطر

ذلك الفشل الذي كان يلتزم به معظم سكان المخيم وربما انا بالتحديد وكلما ظهر لهم امل يأتي بعد طريق مسدود ومجهول

يا ترى ما الذي يوجد على الجانب الاخر من البلاد وهل حياتهم في الخارج أفضل من هذا المخيم الذي يمتلئ بؤس وكيف يقع علينا الاختيار هل يفضلنا الموت قرابيناً له ولم يجد سوانا نحن لماذا هل تلدنا أمهاتنا لنكون ضحية حرب طاحنة في البلد

كانت تعتريني الأسئلة بينما أتخيل وجه ذلك القتيل المسن يتوارى خلف جدارن تابوته هذا السؤال المفاجئ والذي كنت أخشى سماعه هل جاء ليخرجني من خيالات أفكاري الغريبة إلى واقع غريب

حقا ما الذي جعله يستوطن داخلي طيلة تلك السنوات

كنت أنوي تودعيه وأساله هل يخشى الموت قبل قتله عندما صرعته بضربة رميت بخياله من أعلى البناية وأين تلك الجنود التي كانت معه كالندم والحسرة والارق والتعب والحزن أين اختفت فجأة لا أملك جواب على هذه الاسئلة ابداً.....

هل احفاده سوف يدفنونه أم ماذا لو كنت دودة لأكلت كل جثته لكن سوف ابقي على حنجرته ليخبرني من صاحب ذلك الصوت الذي كان يزعجني دائما ....

#الختام

(67)

من بؤرة أحلامي يتردد على مسامعي صوت أمي يطلب صحوتي من هذا الحلم الطويل الذي كنت غارقاً به بينما يزداد عنادي وارفض أن اصحو لا اريد أن أصحو أريد التعمق أكثر أريد إغراق افكاري ومخيلتي بأوهام ذلك المسن بأحلام بأضغاثها لأحلام لا يوجد مفسرين لها أبدا ولا حتى الكهنة ولا العرافين يجيدون تفسيراً منطقيا لها أريد اغراق روحي في الكوابيس فللكابوس عدة أوجه

المهم أنني ما زلت احلم حلم داخل حلم داخل حلم حتى تكونت هذه الرواية القصيرة التي ربما لا تشبه روايات كبيرة لكن بين طيات حروفها أشياء ربما حدثت بالواقع مع ذلك الشباب وربما هي مجرد أضغاث أحلام ولحسن المصادفة مرت معكم هذه الرواية لم تكتب لأجل احد حتى ذلك المسن هو شخصية خيالية تصنعها الكاتب لإكمال روايته التي ربما لن تنال إعجاب القليل المهم أنني ما زلت أحلم ما زلت أهرب من واقعي الذي فرضته علي الحرب بعد ضياع مستقبلا قد ظننت بأنه جميلا رسمت له كثيرا في الطفولة لكن قتلته الحرب وأنا أعلن استسلامي لكل الهذيان في طيات الحلم

أجد نفسي اود رؤية أمي ربما لأن هذا الشعور وحده الشعور الذي يبعث الطمأنينة لي فأمي وطن ملاذ أمن يحتويني أنا وأخوتي في لحظة خوف في لحظة ألم وضياع هي التي أجبرتها الحياة لتصبح أب وأم في نفس الوقت

لماذا يأتي الصباح مبكراً بينما الليل يأتي متأخراً وما الغاية من هذا السؤال

يا لسخرية هذا الحلم الذي رسم في طياته طيف مسن كتبت لأجله هذه الرواية ليجعل منه قاتلا وانا الضحية إنه حظي العاثر ربما من جمعني به في حلم طويل لأنني احاول الهروب من الواقع الذي نعيشه في المخيم أحاول الهروب بالأحلام لأجد الواقع يترسم أمامي هو حلم بسيط ساخر لاحقني فيه ذلك المسن ليحشر أنفه في تفاصيل حياتي

حسين حسين فيق يا ابني عاد صوت امي يطلب صحوتي وفي لحظة مناداتها لي لمحت طيفها من بوابة أحلامي جاءت امي طبيبتي بلسمي جاءت من اضحت وأفنت بعمرها لأجلي وأجل أخواتي جاءت ومعها نداءات متكررة حتى أيقظتني من هذا الحلم او ربما الكابوس ..

..

هنا انتهت قصة المسن التي كانت في مخيلة شاب حولها بين الصفحات إلى رواية قصيرة تحكي عن مسن عجوز يأتي في منام مع قصص وحكايات سرد بين تفاصيلها يومياته ومعاناته

أتمنى أن تنال إعجاب من يقرأها

تمت بعونه تعالى

حسين خالد كعيد

سوريا – حماه - قسطون

حررت بتاريخ 5/7/2019